كتاب الأديب

سارق النار

خليل هنداوي

٢

89278
H66sA
C.1

خليل هنداوي

سارق النار

59757

منشورات الأديب

١٩٤٥

حقوق التمثيل والاذاعة محفوظة للمؤلف

المقدمة

يقول « رومان رولان » في مقدمة له : « لنعزّ انفسنا بمطالعة سير العظماء ، لكي نتناسى ما نتخبط فيه من ألم وشقاء » وكم يحق لي القول الان : « لنغادر هذا العالم الموبوء الى عالم آخر من مبتدعات الفن الصافي والخيال المجنح ! » ومن اولى بهذا العالم من عالم الاساطير — الاساطير اليونانية خاصة — ؟ . هذا العالم نفسه كان ثمرة من نتاج ألم الانسان في الماضي . واي عصر خلا هذا الانسان فيه من ألم يتوجه به شطر حياة هي في الوانها كالسحب خلل الشفق محمراً بعضها وبعضها مسود !

لم تكن الاساطير اليونانية يوماً بخرافة يتلهى بها اصحاب الفراغ ، وانما كانت « حلا لعقدة من عقد الوجود . تصف موقف الانسان من قدر الآلهة ، بل تصف — على الاقل — اولئك الرجال الذين استطاعوا ان يزاحموا الآلهة يوماً على الخلق والبأس والابداع . فاذا كانت هذه الاساطير من وضع الالهة نفسها فهي دليل على ان الالهة لم تستطع ان تعيش في ابراجها العاجية بدون الانسان . فاتخذته رفيقاً في الرضا والسخط والحب والكره والموت والحياة . واذا كانت من خلق الانسان فهي عصارة قلب خبر الحياة وتذوق ما فيها من شقاء ، وحاول تهذيبها فلم يقدر ، ففر من عالمه الى عالم آخر خلقه كما تهوى نفسه ليتعزى به ، وقال للسماء : لقد اوجدت انا ابدع مما كان . وهنا القى الفن عصاه !

ليست هي اذاً بالاساطير الوهمية ... وانما هي متحدرة من صميم الحياة الواقعية ... لا هذه الواقعية المنحطة التي يلوكها اليوم زمرة

الواقعيين معتقدين بان الواقعية ان ننقل ما في الحياة كما هو ، وكم في الحياة من مبتذل ! وانما هي الواقعية التي تقدر « الفكرة الفنية » في الاثر الادبي ؟

لا استطيع ان ارى الواقع كما هو ، ولا تصبر أذني على هذا الواقع في هذا الادب الواقعي . لاني اعتقد بان رائد الفن ان يبدع الحياة مرة ومرات ، وان يرفعنا من هذا الواقع الثقيل — ولو بالوهم — الى عالم تستحثنا رؤاه العجيبة على خلقه — كحقيقة —

التفسير الفني هو كل ما نقصده حين نريد احياء التراث القديم ، لان المشاعر والعواطف لا تتبدل . ومن ذا لا يقول : ان قصة رجل واحد هي قصة كل الرجال ، وان قصة امرأة واحدة هي قصة كل امرأة .. ولكن التفسير الفني هو الذي يجعل الحياة ممدودة الآفاق ، بعيدة الاعماق !

بهذا التفسير الفني عالجت هذه الاساطير . فالاسطورة لم تعد اسطورة مجردة ، وانما غدت « فكرة فنية » لا استطيع ان اعين مضرب جذورها ولكني اعين ان جذورها ضاربة في صميم الحياة الانسانية التي تألمت ونالت ثمرة آلامها ، وكان الامل والطموح والفن بعض ما نالت بها .

ولذلك لا اعالج في هذه الاساطير قضية الانسان لاصل الى قضية الانسانية . وانما بدأت بقضية الانسانية الممثلة في الاشخاص لأصل الى قضية الانسان .. ولو لم يكن للحياة الا تاريخ انسان واحد لكفى ان تكون في نظري عظيمة .. ولو لم يكن للانسان الا سرقة النار لكفى ان يكون في نظري عظيماً .. ولكنه — ويا ويلي عليه — كم تعب حتى قدر ان يصل الى النار .. التي هي قصة حياته كلها .

خليل هنداوي

سارق النار

●

مسرحية في فصل واحد

●

الاشخاص :

بروميثيوس : سارق النار

هليوس : فتاة عاقبت به

الآلهة :

الحسناء :

المشهد الاول

« ايها الناس والآلهة ! اننا من اسرة واحدة
لاننا تناولنا قسمة الحياة من أم واحدة »

« بانندار »

بروميثيوس (فتى نفته الالهة لحيلة اقترفها الى جزيرة « لنوس » وهذه الجزيرة يسيطر عليها اله النار والحديد . كان يرى بروميثيوس ناراً تشتعل في الليل ، ولا يدري سر هذه المادة الغريبة . وبروميثيوس فتى في ريعان الشباب تبدو عليه علائم اليقظة والوعي والارادة)

هليوس (فتاة من الجزيرة رأته فأحبته . وهي تخشى ان يهرب من منفاه دون ان يصطحبها معه)

بروميثيوس هل هيأت القارب يا هليوس ؟

هليوس عدني بأنك تصطحبني معك ... لأن القارب الذي يتسع لشخص واحد يتسع لشخصين . اني اسلّيك . اني احبك .

بروميثيوس كم تقرع هذه الكلمة اذني ! كأنما الحياة فراغ لا يملؤه الا الحب .

هليوس وبدون الحب ما عسى ترن الحياة ؟

بروميثيوس في الحياة اشياء كثيرة تنتظر الرجل . فيها الخلق والابداع . فيها كفاح الحياة نفسها .

هليوس آه منك ومن كفاحك .

بروميثيوس ولكنك لم تستطيعي ان تأتيني بالنار .

هليوس جربت كثيراً . دائماً كانت عينه يقظى . كلما اقتربت منها حملقت فيّ . وفي المرة الاخيرة حملت شرارة واحدة كادت تحرقني ، فتركتها تعود الى موقدها .

بروميثيوس هذه شرارة حقيرة ازعجتـك . . . يجب ان اعرف سر هذه المادة الغريبة التي يطيعها الحديد . لن اترك الجزيرة الا وجذوة منها بيدي .

هليوس وكيف تريد ان تحملها ؟ ان قاربك الخشبي لا يستطيع نقلها .

بروميثيوس أعطيني انت هذه الجذوة . . . انا احملها وانت تجذفين .

هليوس (واثبة على عنقه)
احقاً ما تقول ؟ ولن نضيع في الليل لان الشعلة الكبرى معنا .

بروميثيوس هو كذلك .

هليوس طرأت على فكرتي حيلة في استخلاص هـذه الشعلة ، ولكن في نفسي شك وتردد .

بروميثيوس مرض الانسان ، منذ كان .

هليوس ليس شكي في القدرة على اخذها ، ولكن نفسي تشعرني باننا نجلب الشقاء الى انفسنا بيدنا . مالك ولهـذه المادة اللعينة ! انها ملك للآلهة ، فلماذا تتطاول على ما ليس لنا .

بروميثيوس ويك . . . ألسنا من اسرة واحدة ؟ تناولنا قسمة الحا
من ام واحدة . ان لنا حقاً في هذه المادة .

هليوس اصبحت اخشى عليك بطش الآلهة . دعنا نذهب من
دخان هذه الجزيرة الى جزيرة لا دخان فيها . نعيش
كالرعيان ، ونسرح كالوعول .

بروميثيوس اكره لنفسي ان تعيش جامدة . ان هذه المادة ، وحدها
تضمن لنا هنا.نا . . . فيها سر الخلق والابداع ، وبها
اقدر ان اخلق لا أناساً . . . بل آلهة اذا اردت . والان
فيمَ فكرتِ ؟

هليوس سآتي آله النار في قسم من الليل ، وألهيه عن ناره قليلاً ،
حتى تستطيع انت ان تسرق هذه المادة . ما عساك
تقول بهذه الحيلة ؟

بروميثيوس وبعد ذلك الى البحر .

هليوس والحب . . . ايضاً .

بروميثيوس على سرير من خشب .

هليوس ونارك تمتد شعلتها علينا .

بروميثيوس يا جزيرة النار وقيني لاحملك الى الانسان .

المشهد الثاني

« في ثنية من ثنايا الجبل نار تشتعل ،
وحولها إله النار بسحنة مرعبة »

إله النار (وحده يخاطب النار ذاتها)

لسانك دائماً يمتد الى الاعالي . اذا اخفضتك الى الارض زدت ارتفاعاً ، لانك هدية السماء الى الارض . تريدين ان تصوني مقامك الاول . بل انك لتحنين الى الرجوع اليه .

لا ترجعي ناراً ، بل ارجعي دخاناً .

(ترداد النار هديراً ولسانها امتدادا)

ويك اذيبي الحديد ، واخلقي عالم الفن . ان أبولون على جماله لا يستطيع الاستغناء عن رقصتك الحمراء .

(تلوح هليوس على وهج النار ، بينا بروميثيوس يتوارى خلف صخرة)

آه من انت ايها الطارق هذا المكان المقدس ؟ أغرك بريق ناري ؟

هليوس (لبروميثيوس بصوت خفيف)

لا تظهر قبل ان يترك مكانه !

اله النار ما لك لا تتكلم ؟ أأخرسك مشهد النار ؟ ام انك قذفة من عالمنا ؟

هليوس رباه ! ماذا ارى ؟ شيء يخطف ابصاري . أهنا سر من اسرار الخليقة ؟

اله النار اقترب مني ... ان ملامحك ستصبح جميلة على هذا الوهج المرتجف ، من انت ... وماذا تريدين ؟

هليوس كنت أرعى الرعاء ... ثم ادركني الليل ... ثم أنست بهذا الشيء الغريب الذي يبهر عيني من بعيد .

اله النار انت ضالة عن الطريق . لان هذا المكان ليس بطريق الرعاء . وانما هو طريق الآلهة .

هليوس أتريد ان تقول بانني اذا واصلت السير وصلت الى عالم الآلهة .

اله النار هو كذلك ... لو كنت تحملين هذه الشعلة بيدك .

هليوس دعني احملها ولنسر معاً .

اله النار ان يدك لا تقدر على حملها ، لانها نار تحرق . يد آله تحملها .

هليوس دعني اجرب ...

اله النار هي لك ... اذا استطعت ان تحمليها .

(تجرب هليوس فتلذع النار اصابعها ثم ترتد خائبة)

هليوس هي ليست لنا . انها تؤذينا على رغم جمالها . ولكن كيف ابلغ الان طريقي ؟

اله النار سأضع لك ! الان هذه الشعلة على نشز من الارض ، وهي تضيء لك الطريق حتى تصلي .

هليوس لا اريد ذلك . لانها لا تريدني الا انجذاباً اليها . كلما حاولت الابتعاد عنها اقتربت منها ولكن تنزل معي مسافة قريبة ثم تعود ...

اله النار (يهز رأسه)

وكيف تريدين ان اترك ناري ؟ ان كل شيء حولها يريد ان يطفئها ، وهي امانة السماء في عنقي .

هليوس ضعها داخل ثنايا الكهف حيث لا عين تبصر . اتجعل اذنك صماء عني ؟

اله النار انك حقاً جديرة بالرحمة . لنترك النار قليلاً .

(ينطلقان : هي مجترسة وهو يلتفت ما بين حين وحين ليتحقق من ناره) .

لا تزال تشتعل ...

هليوس أمامنا هوة عميقة ... عميقة جداً . كيف نجتازها ؟

اله النار لنعد الى النار ...

(بروميثيوس يظهر وقد أعد وعاء . سرق النار وانطلق . ظلام في الكهف . يظل اله النار وهو لا يزال يسمع صوت النجدة من هليوس)

هليوس (بصوت عميق)

تكاد الهاوية تلتقطني ... بدار بالنار . انني انتظر ... انتظر النا ...

اله النار النار قد انطفأت ... من ذا يشعلها ؟

(يدنو متحسساً)

هنا كان موضعها ... لا اراها .. من ذا عبث بي ؟ أهذه اللعينة كانت رسول انسان لعين . لقد سرق الانسان النار من اله النار .

(بخيبة ومرارة)

عجباً هل أدرك هذا الانسان ان النار مادة من مواد الخلق والابداع ، فأراد ان يزاحم الآلهة على الخلق والابداع ... ولكن هل درى هذا الانسان ان هذه المادة تحمل معنى وجودها وفنائها بنفسها ؟

(يتأمل في الفضاء)

لا ارى لها انعكاساً . لن ارجع عن استرداد ناري . لان الخلق يجب ان يبقى من صفات الآلهة . لو كان هذا الانسان اميناً على ما يبدعه لاعطيناه سر الخلق . لكنه يخلق ويشوه . يبني ويهدم . ما شأن هذا المسخ

الرجيم بالابداع ؟
(ينطلق في الليل خافيا ، ويسمع وطء قدميه على الصخور التي تتدحرج من تحته)

المشهد الثالث

« بروميثيوس وهليوس وقد اصبحت النار في قبضته ، وهما جادان في الفرار »

هليوس واخيراً وصلت ! هل أحس بك ؟
بروميثيوس اندفعي في الهرب . فان الصخور ترجع صدى اقدامه . صارت في حوزتي . ولكنها تلذع يدي .
(يندفع في الجري)
هليوس أتاركي وحدي ؟ ان له اشداقاً فاغرة . اين انت ؟ هل اذهلك الظفر عني ؟ انقذني من إله النار قبل ان يمسخني .
بروميثيوس اليّ يا هليوس ... سيري مع اندفاع الريح الى هذا الملجأ حتى يطلع الفجر .
(تدنو هليوس متعبة من باب كهف)
ان النار لا يخفيها الا كهف . انها اذا خرجت الى الفضاء دلت عيون الآلهة علينا . انك لا تعلمين خطر الامر الذي اقدمنا عليه
هليوس وما خطره ؟ أيتعدى الامر ان يكون سرقة انسان لآله ؟
بروميثيوس وقديماً يسرق احدهما الآخر . ولكنها سرقة الانسان لأروع ما تحبسه الآلهة على نفسها . سرقة لروح الخلق والتكوين . اذا لم تكن النار قوة التكوين فانها

رمز له .

هليوس ويلاه ! اذاً لقد بلغ النبأ الآن مسامع الاولمب . بل استطار الى السماء .

برومثيوس (ضاحكاً) وهذه النجمة الشاحطة تبلغ اختها . وتلك تنطلق الى ما فوق . وقليلاً يضج عالم الآلهة منا .

هليوس أأردت ان يصب الآلهة علينا غضبهم ؟

برومثيوس انهم على الاقل سيجولوننا عن صورنا . وفي الطبيعة لا تختلف صورة عن صورة .

هليوس دعنا ننتظر على باب الكهف مصارعنا . انهم اذا سدوا علينا منافذ الكهف فلن نخرج منه .

برومثيوس سأدعك تعودين الى بيتك وحدك . ودعيني انا أتم كفاحي . . . لقد ايقنت ان الكفاح في الحياة للحياة هو اسمى ما اعتقد به .

هليوس كيف ادعك وحدك ؟ وانا انما فعلت ذلك من اجلك . انني رضيت بان اصل مصيري بمصيرك . انا معك الى النهاية . لتمسخنا الآلهة حجارة او قردة . . . ألسنا نبقى معاً ؟

برومثيوس انك يا هليوس رفيقة امينة . ولكن اذا كانت الآلهة ذكية أتدرين ما تعمل بنا ؟

هليوس تبقينا على حالنا ، وتقيدنا او تفصلنا .

برومثيوس انها تمسخ احدنا ، وتبقي الآخر يموت بجانبه او يساوه . وذلك اشد تنكيلا بنا وتعذيباً لنا .

هليوس وفيمَ لا نفر الى جزيرتك الجميلة ؟

برومثيوس لعل الآلهة صبت عليها الآن سوط عذابها .

هليوس لنسرع في التحول عن هذا المكان . كأني بكل شيء

فيه يريد ان يسد طريقنا .

بروميثيوس لا غنىً لنا عن البقاء حتى مطلع الفجر ، لاننا لن نفوت اله النار اذا احس بنا .

(ينامان في الكهف)

المشهد الرابع

« على قمة الاولمب زيوس رئيس الآلهة ومعه بعض اعوانه وهم في حالة قلق وغضب »

زيوس ألم يرجع رب النار من رحلته بعد ؟
أيسرق واحد من اهل الارض نار الآلهة المقدسة ؟
أنبىء اله الصواعق ان يعد ما عنده من صواعق ورياح وليدك بها الارض دكاً

اله الارض ولكن ما ذنب اهل الارض جميعاً حتى تحرقهم او تغرقهم . ان واحداً سرق النار المقدسة فما شأن الاخرين ؟

زيوس لتتمهل اذاً . . . اظن اله النار قادماً .

(يدخل اله النار على وجهه غبرة الخيبة)

ألعلك وجدت نارك ؟

اله النار لقد تتبعت آثاره فلم اجده . لقد اخفاه عني شيء . ولكن لا بد من استرجاع النار .

زيوس هوذا مزاحم جديد وقف في طريقنا . يريد ان يخلق كما نخلق . ويل ليديه الآثمتين .

اله الارض انه وجد موضعاً لاظهار طموحه فلم يقصر عنه . لماذا لا

نتركه يخلق اذا قدر على ذلك ؟

زيوس هو يخلق ! هل يستطيع ان يخلق ؟ هل يشرك الآلهة في صفاتهم الاساسية ؟ انه انسان ، ولا يستطيع ان ان يتجاوز مدى الانسان .

اله الارض نعم انه انسان . . ولكن النار المقدسة ستجعل منه شيئاً كبيراً .

زيوس انه سيخلق بالنار ، وينفخ الروح في اشيائه فتتحرك . ولكن الحياة في اشيائه ستبقى ممسوخة . لانه مبدع غير بعيد المدى . يلهو غداً بالصور الظاهرة والاخيلة العابرة . هو يخلق دون ان ينفذ الى سر الزمان . قد يملك المكان اما الزمان فمن هبات الالهة .

اله الارض الزمان . . وهل نحن نملك الزمان . انه سحق آلهة من قبلنا ، وسوف يسحقنا دعه يا سيدي يبدع ، فالارض بدون ابداع موات لا حياة فيه . ان هذه الارض لا تحرك فيها هذه المخلوقات المتراكمة عليها شيئاً ، وهذا المخلوق الصغير وحده يحركها بامواج عقله المتتابعة . دعه ولا تقف في وجه طموحه ، انه شيء جدير بالتقدير .

زيوس أأخذتك الشفقة على كائن عصي يمد الينا يده ؟ ان سارق النار لا بد ان ينال جزاءه ، ولا بد أنك ساعدته على اخفاء النار في اطباق الارض .

اله الارض النار . . وهل ظلت النار جذوة واحدة ؟ اطل من الاعلى وانظر !

زيوس (يطل زيوس) كأن الارض كلها نار تشتعل .

اله الارض اين تخفي النار المقدسة ؟ وقد امتدت في ساحات الارض ؟

زيوس (لاله النار)

لا خير اذاً في استرجاع النار .

اله الارض كما لا خير في ضرب الارض بالصواعق .

عموليس لي رأي في حل المسألة . ألستم تريدون جزاء السارق وحده ؟

زيوس لقد اصبح ابناء الارض كلهم سارقين .

عموليس ان الانسان مزاحم خطير لنا . اذا تفرغ للتفكير وحده أمكنه ان يدركنا .

زيوس ذلك ما نخشاه .

عموليس لنرسل اليه الاهة جميلة تفتنه ، وانا اضع له علبة احشوها بجميع الامراض والعاهات حتى يبقى محاطاً بالمخاطر . يبني ثم يهدم ، يبدأ ولا يتمم . اشخاصه انصاف الهة . ورجاله مسوخ اقزام . وبذلك لا يتسنى له ان يفكر فينا .

زيوس يا لها من فكرة حسنة ! ان هذا العمل يضع حداً فاصلاً بين عالمنا وعالمه . باشر بما تريد !

عموليس واضيف الى ذلك كل الرذائل الممقوتة .

اله الارض ومعنى ذلك انكم تقضون على حياة مضيئة .

زيوس هذا ابتلاء للعبقري منهم . من اجتازه الينا عددناه من ابناء النار المقدسة .

اله الارض اذاً ضعوا بعد هذه العاهات كلها « الامل » . يلوح له رمزاً للنار المقدسة التي سرقها .

زيوس ما ترى في ذلك ؟

عموليس لن تغنيه هذه المادة كثيراً .. فلتكن !

زيوس حسناً .. علبة .. نكبات .. أمل !
عموليس هذه حياته على الغالب .
اله الارض انها لحياة كبيرة اذا كانت النفس كبيرة .

المشهد الخامس

« بروميثيوس ازاء تمثال له من الجص . ينتظر ان تحمى النار لينفخ فيه الحياة . وبجانبه هليوس تنظر اليه باعجاب وحنان »

هليوس حقاً انك كدت تبلغ مبلغ الالهة في الابداع .
بروميثيوش وما يمنعني من ذلك ؟ ونحن من اسرة واحدة ومعي النار المقدسة . لنخلق دائماً . فالحياة جامدة بدون خلق .
هليوس ما هي المفاجأة التي ينتظرها هذا التمثال حين يفتح عينيه .
بروميثيوس انه لن يفاجئه شيء سواك في هذا المكان .
هليوس (ضاحكة)
أليست الحياة مفاجأة ؟
بروميثيوس ألعلك تذكرين اغنية النار التي كان يرددها اله النار يوم وقفت عليه .
هليوس (بعد تذكر)
لسانك دائماً يمتد الى الاعالي ...
بروميثيوس وهو كذلك .
هليوس لانك هدية السماء الى الارض . لا ترجعي اليها ناراً ، بل ارجعي دخاناً . اذيبي الحديد واخلقي عالم الفن .
(النار تشتعل وترداد ضراوة)

(فجأة تقف فتاة حسناء في الباب .)

الحسناء عم صباحاً يا سيد النار ! ما اعظم تماثيلك التي عاشت ! انها كلها عصت رغبة الالهة لانها لا تعيش بقدرتها .

برومثيوس ما اشبه وجهك بوجه الاهة انقطعت عن القطيع !

الحسناء وانت يا سيدتي ما اعظم حظك اذا كنت رفيقة هذا المبدع !

هليوس ادخلي اذاً ! كأني كنت اراك في جزيرة « لمنوس »

الحسناء أنسيت جارتك « ميليتا » ؟

هليوس وكيف تركت أمي واختي في الجزيرة ؟

الحسناء لقد فارقت الجزيرة قبل ان تفارقيها . وطوحت بي الاقدار الى منزل فتيّ وعر الاخلاق . لا يذيقني اللذة حتى يذيقني اضعافها من الالم .

هليوس وماذا قذف بك الى هذا المكان ؟

الحسناء (همس) نبأ عجيب لا استطيع الافصاح عنه .

هليوس أهو حب جديد ؟

الحسناء بل هو كنز غريب .

برومثيوس كنز ! واين موضع هذا الكنز ؟

الحسناء هو بيدي ايها العبقري .

(تطلع يدها علبة مرصعة مغلقة)

برومثيوس وماذا بها ؟

الحسناء لو عرفت ما بها لما جئت اليك .

برومثيوس تجيئين اليّ من اجل علبة ؟

الحسناء ان فتحها استعصى عليّ .

برومثيوس (يتناول العلبة بيده ويقلبها مستغرباً لانه لا يصل الى موضع فتحها)

هليوس اياك يا عزيزي ان تفتحها . ان بها لشأناً . لا ندري لمن هذه العلبة ؟ ألعلها علبة الالهة . او علبة ملكة اضاعتها في القنص .

الحسناء دعيه يفتحها ، ونقتسم المغنم .

هليوس لا تمد اليك يدها ! دع غيرك يفتحها . (للحسناء) وانت خذي علبتك وارجعي من حيث اتيت .

الحسناء (تتناول علبتها بعنف) كنت اظنكَ اقوى قلباً لتستطيع الثبات في نضالك للالهة .

برومثيوس في نضالي للالهة . ألا ترين انتصاري في هذا النضال .. لقد نازعتها نارها المقدسة وزاحمتها على الخلق .

الحسناء وتعجز عن فتح علبة !

برومثيوس لا من عجز فعلت . سأفتحها وان كان ما بها شراً اودعته النار ، فهي تأكل الخبيث والطيب .

هليوس (تريد ان تثنيه عن عزمه ، ولكنه عالج فتحها حتى فتحت بالمطرقة)

برومثيوس (يحجم مذعوراً) صماديرٌ مظلمة ! واشباح قاتمة . كأن العلبة عالم مسكون .

(يمسك بالحسناء) من أنتِ ، ومن ذا بعث بك اليّ ؟

الحسناء (وهي منصرفة عنه) انا احد تماثيلك الذين ارسلتهم الى الحياة .

برومثيوس ان تماثيلي نقية ، لا يمكن ان يصدر عنها الشر لان يدي نقية . انت مخلوق من مخاليق الالهة . أليس كذلك ؟

(الاشباح تتلاحق سوداء قاتمة)

هليوس ابتعد يا برومثيوس ! ولنفر من المكان ! اكاد اختنق .

شبح من الدخان – الرذائل تشق طريقها الى قلبك .

٢ الامراض تتنقل على فرشك .

٣ الشقاء ينقض ظهرك .

٤ الاشواك تملأ دربك .

٥ والموت يطفىء حياتك .

برومثيوس افتحي النوافذ ! اريد ان اغلق العلبة .

(هليوس تفتح النوافذ ، فينجلي الدخان وتختفي الاشباح)

هل ترين شيئاً ؟ أرى فيها وجهاً لا يزول .

هليوس لكن ليس عليه قناع اسود .

برومثيوس بل قناعه من نور .

هليوس انه أليف صديق لنا ! تكلم !

الشبح الاخير – والامل وحده صديق لك في الحياة لا يتركك .

برومثيوس اذاً بقي لنا صديق واحد . استطيع يا هليوس ان اتمم الكفاح . صديق واحد في الحياة ليس بقليل . ان الذي ارسل هذا الصديق الطيب مع هذه الفئة من الاشرار هو صديق للانسان . ان لنا بين الالهة اصدقاء يحبون الانسان . لنتمم اذاً عملنا !

النار . . . اوقدي النـار ! واذا عادت هذه الاشباح اطعمناها النار .

هليوس كم خشيت عليك ! لقد كانت حياتك ساكنة وادعة خالية من الاضطراب . اما اليوم فتحمل جزاء ما عملت . حياة مضطربة لا طمأنينة فيها .

برومثيوس حياتي لا تعرف الا الكفاح .

(يدنو من النار لينفخ في التمثال ، فيرتد فجأة متعباً)

هليوس ! ان قلبي كأنه يريد ان يتمزق . اتركي التمثال مستريحاً . لا اقدر ان امشي كأن على عيني غبشاً . تعالي اتوكأ عليك قليلاً . لنخرج من هذا المكان ! كأن الالهة انتقمت مني . ولكن النار لن تكون ملكاً خاصاً بها بعد اليوم .

هليوس (تقوده)

ألم احذرك من هـذه المخلوقة الشريرة ؟ بروميثيوس تب الى الالهة !

بروميثيوس (يمشي متعباً) اسهري على النار ، انها شعلة بداية الطريق .

المشهد السادس

« في كوخ منعزل . على منحدر جبل . بروميثيوس هزيل البدن ، سقيم يأكل جسده مرض خفي عضال . يكون نائماً على سرير من قصب . يتيقظ متململاً بعد ان سمع صوت هليوس ينـاديه . هليوس تظهر على باب الكوخ متململة مترددة ، معها مزادة من طعـام وشراب »

هليوس بروميثيوس ألست ترى الشمس ؟

بروميثيوس لم تغف عيني الا قبل مطلعهـا بقليل . لقد كنت أتألم الليل جميعه . ان شيئاً خفياً لا يزال يأكل جسدي مرة هنا ، ومرة هنا .

هليوس ألم نجلب الشقاء لانفسنا بأنفسنا ؟ لقد كنا نعيش ذاهلين عن كل شيء ، فأبينا الا ان نعرف كل شيء .

بروميثيوس أتظنين اني نادم على ما فعلت ؟ أأنت نادمة ؟

هليوس وماذا جنينا ؟ فقدنا الحياة وأضعنا الحب . ولم يبق لنا الا هذا الكوخ المتهدم .

بروميثيوس ألم نر الطريق على ضوء النار ؟

هليوس أحب الظلام في كل شيء .

بروميثيوس لسنا في الكفاح وحدنا .

هليوس وهل يصحبك احد ؟

بروميثيوس (مشيراً الى علية الالهة) الامل ... صبت الالهة علينا كل نقمتها . لكن شيئاً واحداً يقهر كل شيء بقي يرافقنا .

هليوس ما اكثر اوهامك التي تسترسل اليها !

بروميثيوس اوهامي ...

هليوس تعال الى حياتنا السابقة المطمئنة . وثمن ذلك ثمن بخس .

بروميثيوس الخضوع لمشيئة الالهة . التنازل عن سلطان عقلي .

هليوس اذهب اليها توبة نصوحاً ، وهي ترد لك القوة والعافية . وتذهب عنك هذا الداء الذي يأكل جسدك في الليل ، ويهجرك في النهار .

بروميثيوس يأكل الداء من جسدي . لكن عقلي الذي ألهبته نار المعرفة لا يأكله شيء . حررت عقلي فلن اسمح بتقييده مرة ثانية بقيود الاستسلام والخضوع .

هليوس عش في حياتك لحياتك ، ولكن لا تنافس الالهة على افكارها وابتكارها .

بروميثيوس (يتململ من المرض)

هنا .. نار تلذع احشائي . ولكن لا يمكن ان اموت قبل ان ارى ناري تبدع الالهة نفسها .

هليوس ولكن الالهة تخاف ان تجعلها نارك رماداً .

بروميثيوس حيث يكون الرماد يجب ان نقف خاشعين لان هناك حطام آلهة .

هليوس لِمَ لا تقول حطام انسان ؟

بروميثيوس هو حطامي انا .. على حطامي ستجد الانسانية نارها الابداعية التي لا تنطفىء .

هليوس ولكنك ستتركها في خصومة دائمة مع الالهة .

بروميثيوس الالهة نفسها تعيش على خصومات دائمة .

هليوس لقد اورثت الانسانية كل انواع الشقاء . فما عساها تلقى بديلاً عما فقدته من روح الطمأنينة ؟

بروميثيوس النار .. بالنار تبدع اليد ما تريد ، وبالنار تحطم ما لا تريد . ولكن ويل لليد التي لا تعرف ان تصيب بالنار الا القيود . اريد من النار ان تنير القمة الجديدة التي يقيم عليها انسان الغد مملكته الجبارة .

هليوس انها لم تكن الا شؤماً

بروميثيوس انها لم تكن الا مشعلاً لطريق الانسان الى الالهة .

(الطبيعة عابسة ، والصاعقة مزمجرة)

هليوس ان الالهة لا تزال تلاحقنا .

بروميثيوس انها لن تصل الى ان تخلق بصواعقها مثل ما نخلق . لنتركها تحرق ما تريد بنارها المقدسة !

هليوس تعال الي ! ان طموحك لا يجعلك في ناظري اقل من اله .

بروميثيوس من انت ؟ ارجعي الى بيتك لئلا تلحقك نار السماء .

انها تريدني وحدي ..

هليوس لن اغادرك وحدك .

(تزداد الصواعق عنفاً)

بروميثيوس لعلها تبحث عني في هذا الكهف . على ان شخصاً معي لا تستطيع ان تقتله .

(يزداد تألماً ، يحاول ان ينهض لولا ان هليوس تطلب اليه ان يبقى)

هليوس ماذا تريد ؟

بروميثيوس أريد ان ألمح الالهة في غضبها .

هليوس انها تريد ان تسحقك حيث تراك .

بروميثيوس ان بروميثيوس لن تحرقه نار الالهة . انه سيتألم ، انه سيتحطم ويفرج آلامه بنفسه . انه سيكون رمز التحدي والثبات . على يده ستبقى النار المبدعة .

نحن في جو الالم والشقاء والنزاع والارزاء . اما استسلامنا فسيقتلنا ، أما مقاومتنا فهي التي تخرجنا ظافرين . لنقاوم فناءنا بتخليد ما نبدع ! ولنخلق من بيننا آلهة تنافس آلهة السماء . لنتخاصم دائماً . هذا ادل على الحياة .

هليوس ثائر لا عزاء له .

بروميثيوس الابداع ثورة وتعزية . أخلق بيدك ، ثم تمرد على يدك !

هليوس انك تلهمني اشياء مجهولة عندي .

بروميثيوس لتكوني رفيقتي في رحلتي .

هليوس لنغلق نوافذ الكوخ وبابه !

بروميثيوس تعالي الي يا هليوس ! انك الصديقة الوحيدة التي رعتني في بلائي . اننا سنعيش كآلهة .

هليوس بدون خلود .

بروميثيوس ان في بقاء لحظة واحدة اسرار بقاء العصور .

نحن هنا الان ، وسنبقى دائماً لحظة واحدة تكفينا من الحياة .. السأم فناء نفسه .

هليوس امنحني هذه اللحظة ! انها لا تبلغ الا عمر قبلة واحدة .

برومثيوس بقبلة واحدة تهتز الارض تحت ثغر السماء .

هليوس وقبلتنا ايضاً !

برومثيوس تلك حية كالنار . لاننا سرقناها من ثغور الالهة .

هليوس (الصواعق تنفجر)

برومثيوس ! لا تزال الصواعق تطاردنا .

برومثيوس أما آن للالهة ان تدرك انها تستطيع ان تغري جلدي .. لكن عقلي وحده قوي كهذه الصاعقة لا يقهر .

هليوس أما قلبك .

برومثيوس فهو للرفيقة الامينة .

هليوس هذا يكفيني .. شأنك والالهة .

برومثيوس (يحاول ان ينهض)

قولي للسماء ان تكف عن صواعقها ، لان عين برومثيوس تريد ان تنام .

هليوس بل سأقول لها : ان قلبه يريد ان يتيقظ .

برومثيوس انك اقرب مني الى الالهة ، لان في عينيك اسرار النار التي لا تنطفىء .

هليوس نم قليلاً .. لقد كفت السماء عن رجومها ورويداً اعود اليك .

(تغمم باطفاء النار)

برومثيوس دعيها مشتعلة ، انها اكبر تعزية لي في الحياة . احذري من طريق العودة لانه اخطر الطرق .

(تريد ان تذهب)

لا .. لا . . ان ناراً شديدة تبهر عينيّ . كل ما حولي نار . . كل ما بي نار . ارى الارض استحالت ناراً حتى احتجب وجهها بالدخان . . في بيوتها النار ، في مصانعها النار . في كل مكان تلتهب النار .

(كالمذعور)

انها تمد الي بألسنتها تريد ان تحرقني .

هليوس (تركض اليه هليوس)

لا شيء . . هدىء عنك يا بروميثيوس ! انها ليست الا جمرة حقيرة .

بروميثيوس لكنها تبهر عيني . . واريني عن النار ! او اقذفي بي في احشائها المستعرة !

هليوس (تضمه اليها)

بروميثيوس ! ألم اقل لك ان النار تحمل وجودك وفناءك معاً ؟

بروميثيوس وجودي وفنائي ! لا تذهبي عني ! ان الهاً جديداً سينبعث من هذا المكان !

(ستار)

« فتنـــة »

●

« ان من يختار الجمال يختار معه الموت »

مسرحية في فصل واحد

●

الاشخاص :

افروديت : ربة الجمال

اثينا : ربة الحرب

هيرا : زوج رئيس الآلهة زيوس

إيريس : خصيمة افروديت

باريس : راعي قطيع

اصوات مختلفة

المشهد الاول

« ايريس في حالة صخب لانها لم تُدع الى عرس الهي ، وهو عرس دعيت اليه جميع الآلهة . وهي تنظر من قصرها الى الربوة العالية حيث الفرح والقصف والشرب . وهي تتأكل من الحقد والغيرة والغضب » .

ايريس (وحدها)

لشد ما يصعب على النفس ان تحتمل الاهانة المقصودة . أيدعى جميعهم الى هذا العرس وأهمل وحدي هنا ؟ هل يدري هذا العرس أي عرس يكون ؟ انني سأخلق فيه الفتنة .

(تدخل عليها وصيفتها)

لا اعبأ بتأخرك اذا جئت بالغرض .

الوصيفة انني كنت حريصة عليه ، وقد جئتك به بعد ان انتقيته من اجمل الحدائق

ايريس ليكون جديراً بمطمح الآلهة . والان اين اخفيته ؟

الوصيفة انني وضعته في قماط طي قماط حتى لا يراه حارس

ايريس اكشفي عنه ! ان مثلك جدير بالاكرام . هل وقع ناظرك على شيء ؟

الوصيفة (وهي تخرجه برفق)

أف ! لقد كانت الطريق مزحومة بالعجلات الذهبية من فتيان وفتيات . تقولين ان الطريق . . .

(تخرج تفاحة جميلة)

ايريس شاهد وحده هذه التفاحة

الوصيفة انها ستكون اجمل هدية تحملينها معك الى هذا العرس . أية ثياب أهيء لك ؟

ايريس هيئي لي ريشة ومداداً .

الوصيفة انك عازمة ان تقدمي التفاحة الى احد الفتيان

ايريس (بغضب)

بل الى احدى الفتيات . بل الى اجملهن ، لاني اريد ان اخلق الفوضى في الجمال ، والفتنة في الفن ، والاضطراب في الذوق

الوصيفة وهل الجمال يحتمل الفوضى ؟ انك واهمة يا سيدتي !

ايريس الفوضى في الجمال هي الجمال ذاته .

الوصيفة أعيذك ان تعتقدي ذاك

ايريس ستستقر هذه التفاحة في يد اجمل فتاة . الي بالريشة الحمراء

(تهب الوصيفة)

ايريس (تأخذ التفاحة وتقلبها)

أي صخب ستحملين ؟ بل اية فتنة ستشعلين ؟

(تعود الوصيفة بالريشة والمداد ، وتكتب ايريس على التفاحة)

« لا ادري اين اسقط . ولكن صاحبي اهداني الى اجمل

واحدة بينكن »

الوصيفة ألسن هن كلهن جميلات ؟

ايريس وانما اريد الاجمل من بينهن . هاتي رداء بسيطاً يقدمني كاحدى الوصيفات . والآن ما قولك برشقها ؟

الوصيفة انك سترشقين فتنة لا تفاحة .

المشهد الثاني

« صخب ... والحان قيثارة ، ووقع رقص ... وطبوب وشراب »

صوت اشربوا الكؤوس دهاقاً !

صوت (بتهكم) لم يبق في الاولمب الا اله الصواعق

صوت اني لا اجد ايريس خالقة الشواغل بين القلوب

صوت لم ندعها لئلا تعكر علينا مرحنا بنغمها وغيرتها .

صوت عريسان لم ير الاولمب اجمل منهما . هلموا نرقص رقصة النار .

(فجأة تسقط التفاحة)

اصوات هدية من الاعالي .. تفاحة .. تفاحة !

(يتناولها احدهم .. يقرأ)

« لا تأخذني الا اجمل واحدة هنا »

صوت لتحمل الى هيرا

صوت الى اثينا

صوت متحمس بل الى افروديت

(صمتت الاصوات وبقيت التفاحة بيد من التقطها)

صوت ما لكم مترددين ؟

(تتقدم في هذه الاثناء هيرا واتينا وافروديت)

هيرا اظن ان هذه التفاحة ستكون لي

اتينا ولكن هل تجهلين انك برغم جمالك دوني جمالاً هذه التفاحة نزلت لتكون لي

افروديت ومع هذا تتناسيان من يضرع آلهة الاولمب لحسن جسدها . من أوتي منكن ما اوتيت من تناسق وانسجام ؟

هيرا (ساخرة)

هذه بدعة جديدة في التناسق والانسجام

اتينا (ضاحكة)

جمال لا يوحي الروعة

افروديت لنحكم في جمالنا من اردتن !

هيرا فكرة حسنة

اتينا ايها النازلون هنا ! من يرض بالتحكيم في قضيتنا ؟

صوت هذا شيء غريب

صوت التحكيم في قضية يختلف عليها الآلهة ! لتعم عيني اذا نظرت

صوت وليقطع لساني اذا نطق !

(اصوات ولغو)

صوت من قذف بهذه الفتنة هنا ليثير الخصومة بين الآلهة ؟

افروديت خصومة تتدفق عليها الحياة . ما اثقل الحياة بدون منافسة وخصومة . لانها كالنهر الهامد الذي لا يجد ما يقذفه .

اتينا نحن هنا للخصومات . اذا لم يكن لك خصومة بينك

وبين الغير فلتكن بينك وبين نفسك

هيرا ان جمالي غريب ... من ينكر بانني في كل عام ألبس ثوباً جديداً من الجمال(١) ؟. ان التفاحة من حقي انا .

اثينا رويداً ! لا نرضى الا بالتحكيم .

هيرا من يجرؤ على الحكم لغيري ؟

افروديت سنختار من لا تصل اليه سهامنا ، ولا يبالي بغضبنا . لانه ليس منا

صوت اختاروا انساناً . انه نصف اله ... أوتي الاحساس المرهف بالجمال ، وان لم تكن له مقاييس ثابتة .

هيرا رضيت باول انسان

افروديت (وحدها جازعة)

ليت شعري هل يدرك هذا الانسان مفاتن جسدي اذا رآها ؟ أم تشغله عنها شواغل هؤلاء المنافسات لي على غير جمال

لقد أوتين كل شيء . وما اوتيت الا هذا الجسد

صوت الى الانسان الاول

صوت وفيم لا نحكم الآلهة في الامر ؟

صوت انها لا تنصف ، لانها اصحاب حاجة

صوت الانتصاف شكوك فيه عند الآلهة

صوت استوقفوا اول انسان

---

(١) اشارة الى الاسطورة الزاعمة ان هيرا تغتسل كل عام في عين تعيد اليها عذريتها .

المشهد الثالث

« هيرا واتينا وافروديت يتبين شبح راع
بيده شبابة ينفخ بها وحوله قطيعه السارح »

هيرا هذا انسان . بادرن اليه قبل ان يذهب
(يتعالى اللحن كلما دنون منه)

افروديت ما اجمل لحنه البسيط !

اتينا لِمَ لا يكون مغنياً في ولائم « دنزيوس » ؟

الراعي باريس (يلتفت فيرى هؤلاء الحسان فيأخذه ذعر)
آه ! أتريد الربوة ان تهتز ؟ من انتن ؟ وما خطبكن نافرات على الوعور والصخور ؟ ان اقدامكن دامية ، وشعوركن متبددة . هل اصابكن شيء ... ما لكن ولهذه الطريق المخيفة التي لا تسلكها الا الآلهة ... عدن من حيث جئتن

هيرا لا تخش اذى ايها الراعي المطمئن ! اننا سمعنا لحنك البسيط فاجتذبنا من اعماق الوادي لنرى وجهك ونسمع غناءك .

اتينا اشد ما تطربنا هذه الحياة ! أفي كل يوم انت هنا ؟

افروديت اذا كنت تحفظ سرنا فاننا نزورك كل يوم لتعطينا لحنك ونعطيك جمالنا

باريس (حائراً)
لا ادري أية حاجة جمعت بينكن ؟ ان في كل واحدة منكن ضرباً مختلفاً لجمال المرأة . انكن جميلات ... لا شك عندي في ذلك

هيرا وهل تفهم انت الجمال ؟ وتحسن مقاييسه ؟

باريس وهل يحتاج الجمال الى مقاييس ؟ سمعت ان في آثينا فناً للجمال جديداً . والجمال كهذه الطبيعة عندي متمرد . وجماله بتمرده

اثينا من علمك - يا راعينا - ان تعرف الجمال ؟

باريس علمتني هذه الطبيعة

افروديت هل تقبل بحكمه ؟

اثينا ان ذوقه ذوق بسيط خلي

افروديت وهو الذوق الذي ينبغي ان يحكم

هيرا أتعرف الجمال يا فتى ؟

اثينا لو اردنا منك ان تحكم لواحدة منا فهل تستطيع ذلك ؟

باريس (بحيرة وجد)
أتردن ان تتخذنني سخرية لكن ؟ من انتن وما شأنكن ؟

هيرا لا تخش شراً ولا اذى . نحن ملكات الجمال في الاولمب وقد شاء القدر ان تكون بغيتنا الآن

باريس بغيتكن ! وما شأن الراعي الحقير بتماثيل الجمال ؟

اثينا لا تعجل ! إنا خبرناك فوجدنا لك ذوقاً حاداً في اختيار الجمال . انظر الينا ألسنا كلنا جميلات كما شهدت لنا بذلك ؟

باريس انكن فوق الجميلات .

هيرا نحن اخوات ثلاث ، وقد تنازعنا فيما بيننا على أيتنا هي الاجمل . رأيناك فحكمناك

باريس أيستطيع ذوقي الجافي ان يحكم في الاجمل ؟ دعني

وشأني . انا راع حقير اتسلى بشبابتي ، واغمر نفسي بجمال الطبيعة . في المدينة فنانون ونحاتون كثيرون يقدرون على ان يحكموا للاجمل

اتينا لا مفر لك من الحكم ايها الراعي لاننا انتخبنا ذوقاً بسيطاً خلياً . سنقف امامك عارضات جمالنا .

باريس لا اقدر ان اعتقد بانكن اخوات ، لان ملامحكن مختلفة السمات . . . ملامح كل واحدة لها لحن خاص . . فمن انتن ؟ اذا صدق ظني كنتن من بنات الاولمب .

افروديت هو كذلك . وانزلقنا مع الغيوم .

باريس أليس في قمة الاولمب من يحكم بينكن ؟ .
ان عيون الالهة من الدقة بحيث لا يخفى عليها شيء .

هيرا لم نزد حكم الالهة ، وانما اردنا حكم انسان .
أتأبى ان يقال غداً : ان الراعي باريس حكم في اجمل بنات الاولمب .

باريس وهو كذلك .

هيرا ان النزاع ما بيننا ليس باليسير ، فليكن حكمك عادلا .

اتينا لتقدم كل واحدة منا نفسها !

هيرا أنا — هيرا — اذا حكمت لي ملكتك آسيا وما فيها من كنوز ومفاتن .

أتينا أنا — اتينا — اذا حكمت لي تركتك تنتصر في كل الوقائع .

أفروديت وأنا — افروديت — التي ولدت عارية من زبد البحر . ليس عندي شيء اعدك به . ولكنك اذا حكمت لي رأيت في اجمل فتاة .

باريس (بحيرة)

انكن تردن اجمل فتاة بينكن .

(لهيرا)

انت يا هيرا جميلة . لكن ... يغلب على جمالك هالة من الجلال والكبرياء . ان جمالك لا يتكلم .

(لاتينا)

وانت جميلة حقاً ! لكن ... لجمالك روعة تحد من الرغبة فيه . ان جمالك يخيف ، فيه رائحة الحديد .

(لافروديت)

وانت ... يا موجة من زبد البحر ! فيك الجمال والرغبة التي تدعو . انك جميلة وان لم تملكي مع جمالك شيئاً . فيك شيء لا اقدر ان احده .

هيرا (بغضب)

انك ستعرف انتقامي ... ان جسمها البض قد اغرى عينيك .

أتينا (بحقد)

ورويداً تعلم غضبي اذا شككت سهامي في قلبك . وعند ذلك تعلم ان حكمك لا ينفعك شيئاً .

(تنطلق اتينا وهيرا مغضبتين وتبقى افروديت مع الراعي)

افروديت انني استطيع ان احميك . ولكنني لا اقدر ان أهبك من كنوز الدنيا شيئاً . هذا ردائي فصلته من قلوب العشاق ، تستطيع ان تصونه كذكرى لمرور أجمل فتاة بك . انك اخترتني على فقري . حقاً هل انا اجمل ؟

باريس انك ستبقين على شبابتي لحناً هائماً لا ينقطع تسيل به

الاودية . ما شأننا بالغنى والقصور والانتصار ؟ ان نتفة من هذا الجمال تشعرنا بانفسنا . نحن هنا رغبة لا تموت .

افروديت مسكين انت ايها الفتى . ستتحمل فوق المستطاع من اجلي . ان من يختار الجمال يختار معه الموت .

باريس والان كيف يثق الناس بي اذا قلت لهم انني قبلت افروديت .

أفروديت هذا ردائي !

باريس قد يقولون : انه سقط منها وهي مذعورة من الاشباح .

أفروديت هذه عقودي .

باريس قد يقولون ان عصناً شائكاً فرط عقدها .

أفروديت ماذا تريد ان اعطيك ؟ اعطيك التفاحة التي تخاصمنا عليها . وهي من اجل فتاة الى اصدق عابد للجمال .

باريس أهي كل ما يبقى لي من هذه المغامرة ؟

أفروديت انها مغامرة مشكورة على كل حال في سبيل الجمال .

باريس مغامرة لها ما بعدها . انني محتاج الى التعزية في حياتي الوعرة . ليتك تلوحين لي كلما نفخت في شبابتي .

افروديت ليست الالحان الا صوراً لنا . ستراني في كوخك . وستراني على القمة ، وستراني في الوادي . اني خيالك الذي لا يتركك . ولكن لن تراني الا كخيال .

باريس الا كحلم . . .

(تتوارى افروديت)

أفروديت ! أين ذهبت افروديت ؟ هل انا في حلم ؟ لقد خدعت نفسك بهذا الحكم . متى كان الجمال يمسك ؟ الجمال رغبة لا تستقر خدعتني الآلهة . خدعتني افروديت .

لماذا لم املك آسيا ؟ لماذا لم احكمها ؟ لماذا لم اختر القوة لمغالبة خصومي ؟ لقد انتقيتُ الجمال الحلي فلم امسك شيئاً . لا آسيا ولا القوة ولا الجمال .

صوت رفيقك ايها الراعي العواصف ، ومسكنك ما بين الثلوج . ورفاقك الذئاب .

صوت لا تأنس الا بالحيـاة الوعرة . مزادك كأس من لبن ، وطربك لحن من شبابة ، وذكرياتك اخيلة لا تنتهي . تعرفك الصخور ولا يعرفك احد .

باريس يا للحياة القاسية ! أين انتن ؟ عدن ثانية لأحكم بينكن . (يرى التفاحة) وهذه التفاحة أهديها لاول واحدة تشرف عليّ منكن . تعالين اليّ ... أسفاه ! لا شيء . تفاحة الى اجمل فتاة ، ولكن لا ابصر الفتاة الجميلة .

(وهنا يتصاعد لحن الشبابة مع اجراس القطيع السارح)

(ستار)

■

« جزيرة بلا رجل »

●

« من قال لك : ان شكلاً اجمل من شكل ؟
كل الاشكال عند الطبيعة سواء »

مسرحية في فصل واحد

●

الاشخاص :

سيريس : ساحرة الجزيرة

سيلين : جارية

ميليتا : جارية

كريزيس : جارية

يليتيس : جارية

غوليس : بطل الزورق

غريلوس : رفيقة

المشهد الاول

« سيريس الساحرة مع جواريها في مجلس طرب »

سيريس (لسيلين)

ها ... ها ! ارى عينيك ذابلتين . ألعلك لم تذوقي النوم بالقرب من « ميليتا » انك ساكنة باردة ، وهي كالنار الموقدة .

سيلين ان بي جوعاً آخر لا يشبعه هنا شيء .

سيريس دائماً تتمثلين الرجل . وماذا في الرجل ؟ انه الغدر المجسم ، والخيانة التي لا تتحول .

ميليتا ان الرجل قتل امانيها ، ولا تزال تغني من اجله . اما رجلي فقد رحته بقدمي ، وجئت الى جزيرة تحيا بدون رجل

بيليتيس انها تحن الى رجل . تحن الى لذة تعوي

كريزيس يبدو لي من حنينها المتواصل انها كانت تجد في الرجل غير ما وجدناه .

سيريس ليس الرجل الا صدفة ينبغي ان ترهق حتى تضع ما فيها ثم تطرح جانباً .

سيلين لقد تركت جسدي بين يديه يتلوى كالغصن المترنح .

ومنحته قلبي لا يخفق الا له ... ولكن

سيريس ولكن ... متى كان هذا الغراب يفهم الحب ؟

ميليتا الرجل للرجل والمرأة للمرأة .

سيلين لكن عالمنا يبقى جامداً لانه قفر من الرجل .
يا للجزيرة الساكنة لماذا لا يرن فيك صوته ؟

كريزيس ألم اقل لكن انها لا تستطيب وسائدنا اللينة ؟ انها خشنة الشعور ، لا تحب الا الخشن .

سيريس الي بالازهار والمزاهر والاردية الشفافة ، ان الجمال يريد ان يتمتع بالجمال .

(تمضي ميليتا)

الليلة سنترك « سيلين » تهتز على صدورنا من لذة لا تملكها . الليلة سندخلها في زمرتنا حتى تعرف اسرار هذه الجزيرة المكتومة .

(الطبيعة تزمجر)

كريزيس ألا بشرى لنا ، انا سنرقص على اشلاء رجل .

سيريس كأن الطبيعة نفسها تريد ان ترقص الليلة على اشلاء الرجال .

كريزيس أليست عرائس البحر سيخرجن الليلة للانتقام من هذا الطائش المستبد ؟

سيريس يا لغبطة هؤلاء العرائس المتزاقات مع الامواج بابدانهن الناعمة ! يقلبن الزوارق ، ويحطمن المراكب ، ليشربن من دم الرجل ثم يتركنه جثة طافية على الماء .

بيليتيس ليت هذه العرائس تذكرنا الليلة ، وترقص معنا على اشلاء رجل يتناوله الشاطىء العبوس

(ميليتا ترجع مذعورة)

ميليتا سيدتي ... انه يرقص على الامواج

كريزيس بشرى لنا

ميليتا لا يزال يضطرب في الماء . ومن فيه حائرون يحاولون التغلب على الامواج . والامواج تقبل عليهم باشداق فاغرة . لكنهم يقتربون من الشاطىء.

سيريس لكم انا مشتاقة الى دم رجل !

ميليتا لكم انا توّاقة الى قلب رجل !

بيليتيس سنجعل وسائدنا هذه الليلة من سواعد الرجال

سيريس بادرن الى التقاط الفريسة قبل ان تفلت وانت يا كريزيس اوقدي النار ، واغلي هذه الحشائش المخدرة ! الرجل مخدراً خير منه واعياً . وانت يا ميليتا ، ستثأرين من الرجل . أعدي أسرتنا الناعسة من لذائذنا ، واجعليها تشعر بان ضيوفها الليلة جاءوا من وراء الجزيرة على متون التيار

المشهد التالي

« يوءتى بالرجال منهوكي القوى . غبرت العاصفة وجوههم ولبدت شعورهم . والذعر تركهم في اضطراب . وفي المقدمة البطل عوليس . تقدمهم سيريس وقد توقدت عيناها »

سيريس لكم بتنا ننتظر ! كانت الطبيعة بخيلة علينا هذا العام .

كانت قليلة العواصف . وآخر عهـدنا بالرجل قبل ثلاثة شهور . ثلاثة شهور بدون ذراع رجل : انه عمر طويل في حساب المرأة .

أليس كذلك ايها المقدم ؟

عوليس لو عرفنا بالجزيرة لآثرنا ان نموت بين احضان الامواج

سيريس أتكون الامواج أرق عليكم من صدورنا ؟ هذه جزيرة المرأة التي لا تدنسها قدم رجل . الرجل الذي يطؤهـا يهرق دمه فدية لها

غريلوس (ينبري واثباً)

ومن ذا انبأك انني لست مستعداً لاهراق دمي الآن بين يديك ؟

سيريس آه .. وما اسمكَ انت ؟

غريلوس في تلك الدنيا ادعى غريلوس

سيريس اسم فيه رنة موسيقية عذبة كرنين الامواج حين تخفق . وما كنت تقصد من رحلتك ؟

غريلوس في دمي ملح البحر ... أحب البحر ... المغامرات في البحر

سيريس كم اصبحت قريباً من نفسي ! ولكن الرجال ... نحن نكرههم ، ونمتصهم قبل ان نطرحهم ارضـاً . انك ستراني استنفد شعـاع مقلتيك حتى اتركهما كالحفرتين المظلمتين . أتحبني على ذلك ؟

غريلوس وهل ساقتني العاصفة الا الى ذلك ؟

سيريس انك صبي محبوب يا غريلوس !

عوليس مغازلة بريئة للتي تكره الرجل

سيريس ستأكلون الليلة وتشربون وتسكرون، ويضع كل واحد منكم على صدره غانية . وانت يا غرياوس ستكون من نصيبي . أيزعجك ذلك ؟

(للجواري)

لتقد كل منكن واحدها !

(تتأبط كل جارية رجلا ، ويكون غوليس مع سيلين)

المشهد الثالث

« غوليس مع سيلين »

غوليس أحقاً هذه آخر لياليا هنا ؟

سيلين على م انت آسف ؟

غوليس على ألا تكوني الا بهجة ليلة واحدة لي

سيلين حقاً أتحبني كما احب رفيقك « سيريس » ؟

غوليس ان في عينيك انبعاثاً لم ألمحه على عيني امرأة

سيلين كما قال لي الرجل الذي عبدته في المرة الاولى . تكون عيوننا جميلة ثم تنطفىء ، وتكون قلوبنا خفاقة ثم تهدأ . لقد كرهت الرجل لانه سريع التهاب العاطفة ، وسريع الانطفاء .

غوليس اما هذا الرجل فلن تجديه امامك .

سيلين ! لقد حطمت العاصفة زورقنا فلا تحطمي قلبي .

ليس كل الرجال سواء . مديني بانفاسك الحارة (يدنو منها)

ان هنا قلباً يتألم لا قلباً يكره الرجل

سيلين سأعطيك اللذة ، انك جميل

عوليس اللذة التي تمنحينهـا مخنوقة ... يجب ان اعطيك انا فوق ما في اللذة ، قلباً انت فقيرة اليه . كل ما تحتاجين اليه في حياتك قلب يخفق بجوار قلبك

سيلين اكاد استسلم اليك ... بل اكاد احسب هـذه الجزيرة قبراً .. بأمكانك ان تحملني الى حيث تذهب .. ألى الآفاق ، أم الى الاعماق ؟

عوليس ولكن ينبغي ان تطوي الحياة السابقة

سيلين ولكني اخاف ان تصبح اياه . لقد كنت احبه . لقد كنت اتهالك عليه . لكنه كان لا يفهم لغة المرأة . كان لا يطلب اليّ الا اللذة ، ثم زهد فيها . فهاجرت الى هذه الجزيرة

عوليس والآن يجب ان تهاجري من الجزيرة لان قلبـاً صادقاً يناديك

سيلين (باكية)

أحقاً تحملني ؟ انني متعبة فارحني ! اني لا اريد جسداً فقد تعبت من الاجساد . أريد قلباً ولو كان صغيراً .

عوليس أغير واثقة انت بقلبي ؟

سيلين أأنت حاملي معك اذا انقذتك ؟

عوليس أحقاً تملكين اسباب انقاذنا ؟ اننا نحملك معنا الى الحياة الجديدة

سيلين حيث تجدد حياتي ، وتمر على اذني وشوشات الحب الذي خانني

عوليس ولكنه ان يخونك هذه المرة

سيلين اريد ان تجدد روحي حتى اخلق امرأة ثانية . آمن بان القلب يستطيع ان يتجدد . كل الاشياء تشيخ وتبلى الا هذه الكتلة من اللحم . ان فيها اعاصير الحياة تدوي

اوليس انا لك يا سيلين !

سيلين ولكن نبئني هل لك وراء الجزيرة امرأة تنتظر مقدمك ؟

اوليس (مضطرباً)

كانت ... ثم اخبروني انها ماتت

سيلين ألم تحزن لموتها ؟

اوليس كانت شبيهة بك . ولكنها تعود الآن تحيا على ملامحك

سيلين كل الرجال سواء

اوليس لسنا بسواء ... كلٌ له صحيفة . والمرأة غالباً لا تفهم الرجل ، لانها احياناً لا تريد الا الظاهر . كم عاطفة صادقة انحنت على قدمها دون ان تبالي

سيلين ذلك لان المرأة اصبحت لا تؤمن بدمعة الرجل

اوليس لا تزال عاطفتنا العميقة لا صوت لها

سيلين اوليس ! انك تعبث بقلبي . ان في صوتك حنيناً يستهويني اليك . خذني معك حية او ميتة

اوليس بل حية تنتظرها الحياة

سيلين ان الساحرة أنبأتني ان طريقي الذي اعود منه مخضب بالدم . انه احمر في كل بقعة

اوليس ولمَ لا يكون مفروشاً بالورد ؟

سيلين واخبرتني ان رجلاً يأتي من خلف البحار سيحملني معه ، تشبه ملامحه ملامحك

اوليس اذاً كان لقاؤنا قبل ان نتلاقى . يا لبشرى القدر !

سيلين ولكن

عوليس ولكنه اصبح امامك الان يحملك على سبيل النجاة .

سيلين ولكنه تنتظره امرأة وفية .

عوليس تلك ماتت .

سيلين لن تموت حتى تنتهي من غزل ردائها . تبدأ كل يوم بغزله ثم تنقض ما غزلت منه في المساء . انها تنتظر

عوليس هذه اوهام ساحرة !

سيلين هذه هي المرأة التي تحب

عوليس (مضطربا)

سيلين ! ألا تزال تنتظر رجوعي ؟

سيلين وسوف ننتظر حتى تعود ، وان ينتهي غزل ثوبها حتى ترجع . وكم رجل نهم بنتظر ان تتم غزل ثوبها حتى يضمها كما وعدت ، ولكن ثوبها لا ينتهي الا بين يديك . انك ستعرف امرأتك حين تلقاها من ثوبها الذي لم يكمل

عوليس ولكني ان اعود ، لان ساحرة الجزيرة ستسد علينا كل المسالك

سيلين ولكنا سنعود برغم ساحرة الجزيرة على طريق مخضب بالدم . ولا ادري أدمي أم دمك ؟

عوليس ورفاقي أيعودون معنا ؟

سيلين هنالك زورق موضوع في مكان خفي سنسلكه عند الفجر قبل ان تتيقظ ساحرة الجزيرة . أما اذا تيقظت فلا نجاة لنا من يدها . والويل لنا لانها تمسخنا كما مسخت رفاقك هذه الليلة

عوليس ويحك ماذا تعنين ؟ أرفاقي مسخوا ؟

سيلين انها لا تتمتع بهم الا بعد ان تمسخهم دببة . لان شكل الدب عندها اجمل من شكل الانسان .

اوليس وكيف نحملهم دببة الى اهليهم ؟ أفضل لهم ان يهلكوا هنا . ولماذا لم اصر انا دباً مثلهم ؟

سيلين لانني لم اسقك من ماء هذه الحشائش المخدرة . لانني كنت انتظرك قبل ان تبلغ الجزيرة

اوليس أما من وسيلة لردهم الى اشكالهم الاولى ؟

سيلين يمكننا ذلك اذا تغفلنا الساحرة وسقيناهم شراباً آخر غير شرابها

اوليس انا افعل ذلك

سيلين يسهل علينا ان نراهم جميعاً الا — غلوروس — الذي استأثرت به دون غيره . والان ينبغي ان نسبق الوقت .

المشهد الرابع

« اوليس ازاء رفاقه المسوخين دببة . وسيلين تسقيهم واحداً بعد واحد . ويعودون الى جلودهم الاولى »

اوليس اخلع جلد الدب !
ما احلى ان نصل الى ارضنا بهذه الجلود الناعمة !
وانتَ لم تخسر من جثتك شيئاً . لقد كنت جميلاً ، وبقيت بهذ الجلد جميلاً .
(يلتفت)
واين غرياوس ؟ انني لا اراه

سيلين قد اشرت اليه ... ولا ادري لماذا تلكأ . انه لم ينم الا قليلاً

اوليس ولكن لا نستطيع مغادرته ولو اضطررنا الى قتال الساحرة

سيلين انه قتال من ينتحر . ليس لنا عليها من سلطان

اوليس لا بد من انقاذه . هلموا ايها الرفاق !

سيلين انني انتظركم هنا لاعداد الزورق

اوليس ومن قال لك اننا نستطيع ان نعود

سيلين لن اتركك اذاً

اوليس أهذا هو غريلوس ! ان دباً ابيض يمشي بازاء ذلك الجانب

سيلين لم يبق في الجزيرة دب سواه

اوليس أو لم يكن قبلنا من دببة سوانا ؟

سيلين كثيرون هم الذين رجعوا عبر البحر دببة . اما الذين بقوا فقد ماتوا سريعاً

(يقبل غريلوس بصورته الجديدة)

اوليس لم يبق سواك بهذا الجلد . اشرب من هذا الشراب تعد الى صورتك الاولى

غريلوس لن اشرب ... لانني راض عن شكلي الحالي

اوليس ماذا تقول ؟ أبصورة دب نحملك الى ارضنا ؟

غريلوس من قال لك : انني اريد ان اغادر الجزيرة

(الكل يعجب)

سيلين لا شك ان روحها قد انبثت فيه ، وان اللذة التي قدمتها له قد استعبدت روحه

اوليس ولكننا لن نتركه بهذا الشكل . يجب ان نخلصه من روحها . الي بالشراب !

غريلوس ان اعود الى صورتي الاولى التي كانت علة شقائي

اوليس (بغضب)

ما لكم باهتين ! امرتكم فأطيعوا امر مولاكم ! اسقوه الشراب رغماً عنه ! متى عاد الى صورته الاولى بطل تأثير السحر عن روحه

سيلين ان يفيده هذا الشراب شيئاً اذا لم ترد روحه ان تتبدل . اتركوه وجلده ، خذوه او دعوه

اوليس ويكَ يا غريلوس ! أرضيت بهذا الشكل لجسدك ؟

غريلوس ومن قال لك : ان شكلاً اجمل من شكل . كل الصور عند الطبيعة سواء . هي تريدني احبها بشكلي هذا فليكن ما تريد ! أراعك شكلي الآن لانك تراه بعينيك ، ولكن فيمَ لم ترعك اشكال كثيرة للبشر لا تراها عينك . اذهبوا يا رفاق ودعوني وشأني ! ان هذا الدب سيبقى دباً

سيلين لا فائدة من مجادلته . لقد استلت منه روحه هذه الليلة . ولم يبق من شخصه القديم شيء

اوليس سأهاجمها في قصرها ، ولا اتركها الا جثة هامدة

سيلين ان علينا ان ندرك البحر قبل ان يشعر بنا حرس الجزيرة فنعود جميعنا دببة

اوليس اذكر يا غريلوس موطنك وبيتك ، ستغدو هنا بعدنا وحيداً ، ليس لك الا فروك الناعم . لنتقدم من البحر !

سيلين اتركوا غريلوس ، فالجزيرة اختارته فدية عنكم ، وانجوا بانفسكم ، فاني احس ان ريحها تقترب منا

(يتبعونها نحو الماء والزورق مشدود بحبل . يرخى الحبل

(بعد صعودهم وغريلوس بجانب الشاطئ .)

اوليس مالك يا غريلوس ! هذه هي الامواج التي احببتها صغيراً تناديك . وحبيبتك الشقراء تنتظرك على الرمال مقبلاً مع طيور الماء .

تعال يا غريلوس ! ان قلب الدب لا يشبه قلب الانسان . انت للذة الآن واست للحب والجمال . اللذة سرعان ما تسأم نفسها وتأكل نفسها بنفسها

غريلوس كأني اريد ان انزل معكم . ولكني نسيت جلدي الاصلي هناك بين يديها وعلى صدرها . انتظروني حتى ارجع !

سيلين انه اسير رغبتها . ولن يُطلق اسير رغبة ابداً

اوليس ننتظرك ... أسرع الينا !

غريلوس اشعر بان قدمي لا تحملني . انطلقوا ! ان ريحها الذي خنقني في الليل يفوح من حولي . احس كأنها اقتربت من هذا المكان . جذفوا ... ولا تقفوا ! واذكروا الدب الذي اختارته الجزيرة

اوليس تعال على أي شكل تريد . أدباً أم انساناً ؟

سيريس (مقبلة من بعيد)

اياكَ ان تتقدم منهم . ان سهمي لا تشفى جراحه . انك لي وحدي .. (تدنو منه) ان دمك لهذه الجزيرة ولم يعد من حق احد ان يدعيه لنفسه .

(الزورق ينسحب مسرعاً)

وانت يا سيلين ! تذكري الفأل السابق . انك لن تصلي مع هؤلاء الرجال الا مخضبة بدمك

(تطلق سهمها فيقع في ظهر سيلين)

سيلين (بصوت عميق)

آه .. آه .. قتلتني

عوليس سيلين ! ان الاصابة ليست خطرة

سيلين انهـا لن تختطفني من بين ذراعيك ، ولن تغتمض عيني قبل ان نصل الى ارضنـا . ابق بجانبي يا عوليس ! انا من اجلك آثرت العودة ، لان حبك فتح عليّ الآفـاق المسدودة . هذا دمي صبغ يدك . انه دم احمر نقي . انه حياة تسيل ، وحب يُهدر

عوليس (يحاول نزع السهم)

أتتألمين ؟

سيلين دعه مغروزاً في مكانه ! والآن أتحبني ؟

عوليس اطلبي الحياة !

سيلين والحب ايضاً . حياتي لم تكن الا ليلة واحدة بين ذراعيك

عوليس انها قصيرة جداً

سيلين طويلة كالابد برغم قصرهـا . ألا تكفيك ؟ ان امرأة هناك لا تزال تغزل من اجلك ثوبها

عوليس وانت تصبغين بدمك خيوطه .

سيلين (تتألم وتتحمل)

ليتها تعلم ذلك ! كم انا هانئة بلقياك !

عوليس ستبقين معي حية ابداً

سيلين ألم تغننا تلك الليلة عن بقية الليالي ؟

انك – يا عوليس – فتحت قلبي للمرة الاولى ، وفتحت معه جرح الموت

أوليس سيلين ! انك ستحيين حية

سيلين مخضبة بدمي

أوليس على صدري

سيلين انك لن تستطيع ان تذكر اسمي امامها

أوليس سيكون اسمك كهدير الموج في اذني . وحفيف الريح في مسمعي . وستبقى عينك زرقاء كعين البحر .

(تغتبط سيلين بينما تلفظ النفس الاخير)

ويظل حبك في . . .

رفيق العاصفة ! العاصفة !

(هدير العاصفة من بعيد)

أوليس انها لا تزال تطاردنا . جذفوا اليوم الى اعماق البحر

رفيق لن نسلم هذه المرة

أوليس جذفوا ! فلن نغرق ما دامت امرأة عبر الشاطىء تغزل ثوبها من اجلي .

سيلين أليس كذلك ؟

(يحدق فيها فيراها ماثلة)

سيلين ! أليس لقاؤنا قريباً عبر الشاطىء ؟

(دوي العاصفة)

لن نغرق ابداً . . جذفوا ! لان امرأة هنالك تنتظر . .

(ستار)

« ميـــلاء »

●

— من مصارع العشاق —

« المرأة أخصب من الحياة في اعطائها اسرارها »

مسرحية في فصل واحد

●

الاشخاص :

كعب : زوج أم عمرو

ام عمرو : زوجته

ميلاء : اخت ام عمرو

اعرابي :

عمرو : ولد كعب

اخوة لأم عمرو

المشهد الاول

« خباء على سفح ربوة فيه عدة الاعراب . اقامت على بابه ام عمرو وهي زوج كعب . تتم قسمات وجهها عن جمال في عنفوان العمر . تارة تلتفت الى حولها كأنما ترتقب زائراً . وتارة تحدث كعباً زوجها وهو في اقصى الخباء »

كعب — وهل تريدينني ان اعتقد بان ميلاء اجمل منك جسداً ، واكثر رشاقة ؟

ام عمرو — انك لا تعرف من ميلاء الا القليل

كعب — هبيني علمت الكثير ، فلا اعلم جسداً يمكن ان يكافئ جسدك بضاضة ورشاقة . رأيتك بالامس ، وتلمست محاسنك بيدي . جمال وحركة ولذة .

ام عمرو — (ضاحكة) اشكر المصادفة التي هدتك الى محاسن جسدي .. انك ترى محاسني في كل لحظة . لم اجدك يوماً كثير الولوع بها مثلما رأيتك بالامس

كعب — حقاً انني اراها . ولكن الجمال يغير اثوابه في كل في كل لحظة . لقد رأيتك فرأيتك جديدة بكل

مظاهرك . وكأن عيني حين رأتك رأت جسداً غريباً يتوهج على اهدابها . ولذلك سألتك : هل تعرفين اجمل منك في النساء ؟

ام عمرو اختي ميلاء عالم وحده في حسنها

كعب ميلاء الفتاة المحجوبة بُردائها تستر جسداً يفتن الابصار

ام عمرو ان خلف هذه الاردية الواقية جمالاً يتوقد . لقد وعدتك بان تراها ، ولكن يجب ان تتوارى بحيث تراهـا ولا تراك . انك سترى جمالاً يشتعل ولا يحترق

كعب ما أعرفك بالجمال يا ام عمر ! وي كأنك تقدرين الجمـال بعيون الرجال

ام عمرو أتظن ان المرأة تغفل عن تقدير جمالها . انا لنتلمس جمالنا ونغتبط بالعيون التي تركض حوله . اني لاحس ان ميلاء تدنو . وها هي تكاد تتعثر بازارها الوردي .. توار انت قليلاً خلف الحباء بحيث لا تشعر بك

كعب لن اغير اعتقادي في انك اجمل من رأيت .

(كعب يتوارى وفي هذه الاثناء تدنو ميلاء باسمة وقد توهج خدها حمرة . تميل الخمار عن رأسها . وهي فتاة في الثامنة عشرة من عمرهـا ، قد اجتمع لها من الجمال مـا لم يجتمع لام عمرو »

ام عمرو اراك تخلفت قليلاً عن زيارتك المعهودة

ميلاء لقد تأخر اخوتي عن الذهاب الى الصيد

ام عمرو ألعلهم يريدون ان يقضوا ليلتهم في الفلاة

ميلاء الا ان يقفوا على سرب من الظباء غير بعيد

ام عمرو واظن ان كعباً يلحقهم او يلتقي بهم . وكيف حـال

ابن عمك الحارث ؟

ميلاء. ما جئت لتسأليني عنه . وقد علمت شأني فيه . انه رجل خشن لا طاقة لي به

ام عمرو لكنه يهواك هوى يكاد يستبد به . هو يسأل عنك وانت لا تحفلين به

ميلاء. انني لا استطيع ان احمل نفسي على هواه . كأن في في عيني القذى حين تراه ، وفي قلبي الألم حين ابصر ظله . انه يلحقني ، ويقتفي اثري في في كل مكان ، يحصي عليّ انفاسي ويستبد بعاطفتي ، ويأبى قلبي الا نفارا

ام عمرو كم نفور استحال مع الزمن حباً وولوعاً !

ميلاء. أتريدين ان اسلم جمالي وقلبي الى الزمن ؟

ام عمرو انك جميلة يا ميلاء ، ولعل جمالك كالزهرة تغري فتشات النحل فتأتيها هائمة على وجوهها

ميلاء. ولكن لن يشم هذه الزهرة الا صاحبها الذي اريد

ام عمرو انك مغرورة بتفة من جمال لا يملأ العين

ميلاء. وقديماً كان في الناس الحسد ؟

ام عمرو ومثل جمالك يشحن القلوب حسداً

ميلاء. انك لتعلمين ان قدمي لا تطأ الا اعيناً وقلوباً

ام عمرو لكل امرأة عشاق هائمون

ميلاء. ولكن لكل قلب اغنيته الخاصة التي يترنم بها

ام عمرو ان الزواج قد يبدل من حسن المرأة ولكنه لم يبدل مني الا قليلاً

ميلاء. أنى لك قامتي المديدة الفرعاء ؟ انني اقوم « فلا يصيب قميصي مني الا مشاشة منكبي ، وحلمتي ثديي »

ام عمرو بحسبك هذا ! انك ارجعتني الى بواكير الفتوة حين كان صدري عامراً بنهدين لا يلينان ، احملها خفيفين ودونها ثقل الجبال . تذوب عليها الروح ويتغلغل فيها الشعور مختنقاً

ميلاء ويك يا اختاه ! كأن الذي تذكرين يخفق بي الآن . أمسي نهدي المشرئب ! كأن جحيماً يستعر فيه . اذا مرت انامل عليه وهن عزمي ، وأحسست ان لذة رخوة تمشي في مفاصلي واعضائي

ام عمرو انك جميلة يا ميلاء ! فما اسعد من تحبين !

ميلاء آه . ولكن ما أبعد هذا الحبيب ! انني اناديه ولكنه لا يسمع . واذا سمع فلن يستجيب

ام عمرو اذاً انت عاشقة يا ميلاء ! من هو فتاك في الحي ؟ وأي فتى تلحظ عيناك فلا يلتفت

ميلاء كل جمالي وقف على حبه

ام عمرو انك اذاً مسهدة الليالي ، موحشة الآمال . اخبريني عنه حتى ادنيك منه

ميلاء رب مناد لا يُسمع ، ورب سامع لا يجيب

ام عمرو يؤلمني ان اراك تتحرقين

ميلاء ليس قلبي باول قلب يحور رمادا

ام عمرو انا عرفنا الحب ، ولكننا لم نحترق في جحيمه

ميلاء اواه ! الى اين استرسلت معك ؟ لا تؤمني بقولي . تلك احلام

ام عمرو وهل بلد الاحلام الا الهوى . ويك يا ميلاء . كان عليك ان تنامي انت ملء العيون ، وعلى غيرك ان يسامر الاحزان

ميلاء لقد نكأت جرحاً لا يندمل

ام عمرو انك عذرية الهوى . فهل صاحبك عذريه ايضاً ؟

ميلاء (ناظرة خلفها)

ماذا ارى ؟ شبحاً يرنو الينا خلف النخلة

ام عمرو لعله الحارث

ميلاء انه تعود ان يقتفي اثري . ولكني في هذه المرة سأرميه بنعلي

ام عمرو وما ادراك انه يتلقى نعلك مسروراً

ميلاء لن اكون له مهما كانت شفاعاته . ومن هو هذا الغراب الاسحم يستبد بهذه الحمامة البيضاء ؟

ام عمرو ليس هذا بالحارث ، وانما هو كعب

ميلاء ألم تقولي انه ذهب الى الصيد ؟

ام عمرو لعله خطر له خاطر اعاده

كعب اني ارى ميلاء مضطربة حائرة . ما كنتما فيه ؟

ام عمرو كنا في حديث يهم المرأة

كعب وهل حديث المرأة غير حديث الزواج ؟

ميلاء والحب ايضاً

ام عمرو ولمَ لا تقولين الجمال ؟

ميلاء اني احس الجو يكاد يخنقني ماذا تريدون من ميلاء ؟

(تنطلق ميلاء مغضبة)

ام عمرو (لكعب) ماذا لمحت من جمالها ؟

كعب لا تريد عنك شيئاً الا بضاضة في المتجرد ، وملاسة في الخد ، ووجداً في الاحشاء

ام عمرو آه ! ولعلك واجد اشياء أخر فيها ، كأنما أم عمرو زالت

من عينيك

كعب لكنها لم تخرج عن كونها صورة منسوخة عنك . كنت في وجدها ووقدها حينما اقتدتك من بيتك ولكن .

ام عمرو ولكن احسست أن بك تقلباً ، اخاف ان تعبث ميلاء بنفسك

كعب (ساخراً)

ومن يستطيع ان يحتل مكانك من شغاف قلبي

(يضحك ضحكة مقهورة)

المشهد الثاني

« كعب في الخباء يرتقب مجيء ميلاء ، وهو في حالة وجد شديد »

كعب ميلاء ! لا بأس عليك . انها ذهبت في حاجة بعيدة

ميلاء اخشى ان يفجأنا احد فيرتاب بنا

كعب وما عساه يرى فينا باعثاً على الريبة ؟

ميلاء أتظن ان وجوهنا لا تحمل الخبر !

(تدنو منه قليلًا قليلًا)

كعب ميلاء ! اني سمعت حديثك بالامس

ميلاء ويك يا كعب ! اجاد فيما تقول ؟

كعب ورأيت من محاسنك ما بهتني

ميلاء ويحك ! كيف اقتحمت عيناك ما ليس لك ؟

كعب أليس الجمال قرى للعين ؟ هل في رؤياي حرج يا ميلاء ؟ أتريدين ان اقتلع العين التي رأت ؟

ميلاء ولكنك لم تر شيئاً

كعب في هـذه البقعة اشرق صدرك ، وهبت اول نفحة من جمالك . ابصرت نهديك المغويين اشرأبا كقادمتي حمامة وصدرك يكاد يتفجر بما فيه

ميلاء آه منك ! لكأنك تريـد ان تجعلني احس باشياء في لا احسها بدونك

كعب للحب عين بعيدة الاعماق

ميلاء (بخفة) أي حب تريد ؟

كعب وكأنك تجهلين انني عرفت ما يجول في نفسك من شأني . نعم . اني لأجـد مثل الذي تجدين . واشعر ان نداء خفياً يدعو كل واحد منا . ميلاء ! انك في قلبي ولكني لا اقدر ان احتملك . قد تكون اختك جميلة ، لكنها ليست بالمرأة التي تميل اليها نفسي . اما ميلاء . . . فهي الصورة في المحراب

ميلاء كفاك يا كعب توسوس لقلبي . والله اني لأكتم ما سمعته امس منـذ زمن بعيد . ولكني اغالب الشوق واقهر الوجد . لان نزولي على اختي فيه مـا فيه من المذلة وسوء العاقبة

كعب ولكن الهوى يلجم كل العوائق . الهوى لا يعرف الا نفسه . دبيبه في النفوس كدبيب الكرى . اما سلطانه اذا تحكم فلا يقهر . انه يناديـنا الآن لانه صادفنا في الطريق . أيجدر بنا ان نوصد منافذ اسماعنا دونه ؟ ان صوته كهزيم الرعد ، وثورته كالريح العاصفة

(يدنو من ميلاء)

أراك ترتعشين ! أرعشة الخوف أم رعشة الحب ؟ ان شيئاً لا يمس اراه يتصاعد من عروقك ، ويتمثل على عينيك الصافيتين . أهي الحيرة المترددة ؟

ميلاء حنانيك ! انك رأيت قلباً فارغاً طمعت ان تستبد به ، وجمالا ملتهباً أردت ان تتركه رماداً . انك لن تستطيع ان تحبني . انك فتىً عالق باختي ، جبذا لو تنادينا قبل ذلك .

كعب وما ادراك انني اصبحت لا ارى في صورتها الا ميلاء . . الحب لا يعرف ما سن الناس من تقاليد .

ميلاء انني احسست بشعلة تضطرم في قلبي يوم اقترنت بها . وطالما كنت اتغفلكما في كثير من خلواتكما . كم قبلة لك كنت احسها تمر مرتعشة على فمي ، وكم كف مددت اليها كنت اشعر بانها تمسح ما بين ترائبي ! كنت احيا معكما في الذكرى .

كعب هذا اقرار بالحب ، ليتنا قبل اليوم تعارفنا ! ولكننا سنختلس لحظة من الزمن نروي فيها شفاهنا الجائعة ، ونهدىء حبنا الثائر .

(يعانقها)

ميلاء ولكن أتكفينا هذه اللحظة الخاطفة ؟ أمامنا هوة عميقة .

كعب ما ابالي — دعي معي — اين اقع . احس النشوة المخمورة في فمك الناري .

ميلاء لا تشدد علي !

كعب ميلاء ! الان عرفت ما يمكن ان تجود به المرأة . المرأة اخصب من الحياة في اعطائها اسرارها . انك لي الآن

لا تستطيعين ان تفتحي صدرك لغيري

ميلاء وهل تكون انت لي ؟

كعب أفي شك من ذلك ؟

ميلاء لي وحدي من دون الناس

كعب ليس لي الا قلب واحد يخفق الان على صدرك . وما وراء ذلك فخفقاته خفقات كاذبة

ميلاء ولكني لا استطيع ان اراك على ثغرها ، على صدرها . كان مشهد ذلك يؤلمني لكن اليوم يقتلني

كعب يا لنفسي من قاتلة مقتولة . ميلاء ! ان الغيرة تفضح ما بيننا فاكتميها !

ميلاء لقد جئت خفيفة واعود مثقلة أجرجر حملا ثقيلا .

كعب سنتساقى الحب ، ولكن لا بد من مرارته .

(تنهض ميلاء كالمثقلة)

المشهد الثالث

ام عمرو لست ادري ما طرأ عليك ، كأن الاقدار بدلت شخصك شخصاً آخر

كعب وبهذا القدر تم تبديلي

ام عمرو نعم ! كنت تأتي الى البيت فلا تشرف عليّ حتى تتناولني بذراعيك ، كأنك متغيب غيبة طويلة عاد الى اهله . وكانت قبلك تنهال على مواطن جسدي بلهفة . وكنت لا تعرف كيف تأخذ بي

كعب والان ماذا رأيت في علائقي ؟ أيبقى الفتى مأخوذاً بنشوة الحب ؟

ام عمرو ها ! أرأيت أن علائقك دب فيها الفتور . اصبحت اذا رأيتني لا تقبل علي . بل تواري وجهك عني كأن شيطاناً رجيماً من ورائي

كعب دعي عنك هذا القلق فليس الحب كله من هذه المظاهر الكاذبة . اذا كنت تعتقدين بان الحب في تكثير القبل فليكن لك منها ما تريدين !

ام عمرو انك تستطيع ان تحاول اقناعي بما تريد . وتستطيع ان تصرف ذهني عن هذا الفتور الذي اراه في حبك ... ولكن ماذا يسكت الناس عنك ؟

كعب أي ناس ، وما شأن الناس معنا ؟

ام عمرو شأن الناس معك شأنهم مع غيرك

كعب انهم مفترون

ام عمرو وهل يفترون شيئاً لم يقع ؟

كعب انه لسانك الذي ينفث ، وماذا عسى يقولون ؟

ام عمرو يقولون شيئاً لا استطيع ان اقذفك به لانه شيء يمس شرفنا

كعب آه ! أتريدين ميلاء ؟

ام عمرو هي بنفسها .. ميلاء التي غدرت باختها ، وارادت ان تقوض بيتها

كعب تهمة كاذبة

ام عمرو هذا سلاح العشاق ولكنهم مساكين . انهم يخالون ان الحب يخامر نفوسهم ولا يظهر على عيونهم ، دلائل الحب واضحة عليك وعليها . ان اقتفاءك اثرها بعينك — اينما

مشت – والتفاتك اليها – حيثما جلست – دلائل تعلقك بها . ولكن ... ولكن حبكما لن يحيا طويلا . ما كنت لاظن ان جمالها يستهويك ، وان مخالبك لا تجد فريسة سواها .

كعب ثقي بان ميلي اليها لا سبب له الا الرفق والاشفاق

ام عمرو أيذهب هذا الاشفاق الى ان يستبدل بك شخصاً آخر ؟ انك لا تحس مدى هذا التبديل في نفسك لانك هائم ضال . ولكن سلني انا ... انا التي عرفتك وذقتك وأكلتك

كعب انك تريدين قتل ميلاء ظلماً وحسداً

ام عمرو اذهب اليها الان . وخذ منها اقصى ما تسخو به من لذة . فاذا جاد عليها هذا الليل بظله فلن يجود عليها الثاني . قلبها كما تريد . ومد يدك الى كنوزها المكنونة ، واحرق جسدك عليها فانها نعيم ساعة واحدة لن تتجدد

كعب انك تقتلينها ببواعث غيرتك

ام عمرو أتخشى ان تذهب صريعة خيانتها . اذهب اذاً الى اخوتها واستشرهم في امرها . وقد علموا ذلك فلعلهم يرضون بتزويجها منك . اما انا فلن ترى مني اية معارضة

كعب انك لن تقتلي ميلاء ، ولكن ستقتلين كعباً وحده

(ينطلق مغضباً)

المشهد الرابع

« بدا على مبلاء الشحوب ، وقد زالت

نضارة وجهها . بيدها مغزل صوف . واختها ام عمرو شاردة الطرف . لا تزال على اضطرابها وهي تنظر من حين الى آخر في الخيوط السود المدلاة من المغزل ٥

ام عمرو أترين ان كعباً لا يزال حياً ؟ انه في مثل هذه الايام هجر الحي ولم يعد

ميلاء لو كان حياً لجاءتنا انباؤه . ولكني لا ادري سبب اختفائه

ام عمرو ان نساء الحي يتحدثن عن شحوب لونك وكآبة نفسك . ونفورك من ابن عمك الحارث . أفعل خطب كعب ترك في نفسك اثراً ؟

ميلاء (ممتعضة) لا ازال اسمع منك هذا التعريض كأن كعباً عشيق لي . أليس هو ابن عمي كما هو ابن عمك ؟ فلماذا لا يحزنني فقده .

ام عمرو نعم ، ومن حقك ان تجدي من الحزن لفقده اكثر مما اجد . والان اصدقيني النبأ ! ألم يأتك منه رسول ؟ ألم يرسل اليك رسالة ؟ انني اعلم ان الذي بينكما هو مودة مجردة لا يشوبها دنس

ميلاء كفاك يا اختاه ! لقد تركتني احدوثة في الحي . الصغير والكبير يقول : ميلاء عاشقة مفتونة بكعب »

ام عمرو ألم يقوض كعب بيته من اجلك ؟

ميلاء يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً !

ام عمرو اغزلي ! اغزلي الصوف فان هذا لن يخفف من وجدك شيئاً

(تطرح ميلاء صوفها وتهب الى باب الخباء فتشهد اعرابياً غريباً مقبلاً)

الاعرابي أتأذنون لي بالاستراحة في ظل الخباء ؟

ام عمرو ممن الفتى ؟

الاعرابي غريب تقاذفته الطريق على غير هدى

ام عمرو أمنتَ من الضلال . استرح وأرح !

الاعرابي جرعة من الماء ! لقد نفد شرابي قبل يومين ، وما زلت أتحامل على نفسي واطمعها بالنجاة حتى وردت بها موارد الحي .

ام عمرو يدل ذلك على ان سفرك طويل وشاق

الاعرابي سفري في قفر وعر بعيد ما بين اوله وآخره

ام عمرو اذاً لست بقاصد مقاما

الاعرابي انني بارح على عجل . ولن اقف الا ريثما اهتدي الى طريقي . فاين معالمه ؟

ام عمرو دليه على الطريق يا ميلاء !

الاعرابي (كأن اسم ميلاء يوقظ فيه خاطرة)

ميلاء ... ميلاء . جميل هذا الاسم . ولكن لا اذكر اين وممن سمعته . هنالك فتىً رقيق هائم كان يردد بيتاً فيه اسم ميلاء

ام عمرو أتعرف ما هذا البيت ؟

الاعرابي نعم ... في هذا البيت اسم ميلاء . أتكون ميلاء قصد هذا الفتى الذي شاء القدر ان انزل داره . وهو اشد من في الناس شوقاً اليها

ام عمرو قل البيت الان !

الاعرابي (بتردد)

أفي كل يوم أنتَ من بارح الهوى الى الثم من اعلام ميلاء ناظر

ام عمرو نعم ، انه لا يرى الا ميلاء ، ولا يذكر الا ميلاء ، وميلاء لا تعلم من نبته شيئاً

الاعرابي من منكما يدلني على الطريق ؟

ام عمرو اننا لن نتركك تبرح بيتنا حتى يراك اخوتنا ، فيكرمونك ويدلونك على الطريق ، قد انعمت علينا ، وذكرت لنا من ينسنا منه

الاعرابي اني لاروي له شعراً آخر . ١٠ ادري أتعرفانه ام لا ؟

ام عمرو نسألك بالله ألا اسمعتنا اياه

الاعرابي سمعته يقول ويبكي في احدى لياليه :

خليليَّ ! أما أم عمرو فنهما
وأمـا عن الاخرى فلا تسلاني
بلينا بهجران ، ولم ير مثلنـا
من النـاس انسانان يهتجران
يبين طرفانا الذي في نفوسنا
اذا استعجمت بالمنطق الشفتـان
فوالله لا ادري أكل ذوي الهوى
على شبكلنا ام نحن مبتليـان
فلا تعجبا مما بيَ اليوم من هوى
ففي كل يوم مثـل ما تريان
تذود النفوس الحانات عن الهوى
وهن باعنـاق اليه ثوان
خليليَّ لا والله مـا ليَ بالذي
تريدان من هجر الصديق يدان

ميلاء (تدير وجهها وقد اغرورقت عيناها بالدمع)

ام عمرو حط رحلك ايها الاعرابي عندنا ! فقليلًا يجيء اخوتنا

الاعرابي (يحط رحله)

لو كنت اعلم ان القدر سيجرني الى مكانكم لاستوصيت كعباً ، وحملت نكم منه ما يريد

(يقدم اخ لام عمرو)

ام عمرو جاءنا اليوم يا اخي اعرابي قذفته الطريق

خالد اهلًا بمن قذفت الطريق

الاعرابي قذفتني اليكم لامر ما

ام عمرو يقول : انه شاهد كعباً وهو يعرفه معرفة حسنة

خالد (مقبلًا عليه) أجادٌ فيما تقول ؟ اين تركت كعباً ؟

الاعرابي تركته في برية الشام

ام عمرو اركب الساعة واخوتك وانطلقوا في آثار كعب . يجب ان يعود

خالد نعم ، اننا سنعيده . أليس هو ابن عمنا ؟

ميلاء ولكن فيمَ يذهب جميعهم في اثره ؟ فلعله يتوجس شراً حين يراهم

ام عمرو أخشيت ان يقتلوه ؟ انه سيقدم حياً

الاعرابي ان حديثكم اثار الشبهة في نفسي

ام عمرو لا شبهة ايها الاعرابي . وانما نرجو حياته واستنقاذه عاجلًا

الاعرابي ومن تكونين منه ؟

ام عمرو ابنة عمه وام اولاده

الاعرابي أيهجر مثلك ويتناساك ؟

ام عمرو لا نسيان ! ولكنه مضى لعمل اظن انه لم ينجح فيه

(ينهض خالد وتلحق به ام عمرو)

ميلاء (تدنو من الاعرابي)

ولكن هل تقدر ان كعباً يعود ؟

الاعرابي ان نفسه اضواها الحنين . ولكن حبه لك يمنعه عن العودة . انه آثر الفرار صيانة لحياتك . وفضل ان يتلاشى نفساً في نفس من اجلك

ميلاء ان عودته تنذرني بشر مستطير . لكن عيني لا تبشرني باني اراه مرة ثانية . كان موقفنا عند هذه النخلة الموقف الاخير ، حيث بدأنا بسورة الحب وختمناها

ام عمرو (تعود)

لعل عنده اشياء جديدة !

الاعرابي لا شيء . . . لا شيء الا الطريق

المشهد الخامس

« كعب في ناحية من نواحي الحي ، لا تزال عليه غبرة الاسفار . يتطلع بشوق الى البيوت المنصوبة ، والى النخلة » .

كعب (وحده)

اطال خالد امد عودته اليّ . ألم يصل الى بيته ؟ هذه مراتع الصبا ومنازل الهوى . اني لاشم ريح ميلاء تغمر قلبي من هذه البيوت . وهذه النخلة التي شهدت موقفنا الاخير قبل رحيلي عجت بها يوم سفري واعوج بها عند عودتي .

(يحدق في الطريق)

لا ارى اي ظل على الطريق . . . على ان سواداً من الناس ينتشر بين تلك الخيام ، بل بين بيوتنا أعلهم عرفوا انني بلغت الحي ؟ ما حال ميلاء الآن ؟ وما هي اللواعج ! التي تذكي صدورها ؟ أمرحة لعودتي واستئناف ماضينا ، ام خلية تناست الوداد ؟

ميلاء ! انت الساحرة التي اشارت اليّ بيدها فجئت . .

(يعيد النظر في الطريق ويسمع اصواتاً غريبة)

ليس ما اراه بالشيء المألوف . ليس بامكاني ان اتقدم

(يلمح ولداً صغيراً)

ويك يا غلام . من انت ؟

الغلام انا عمرو . . .

كعب وابوك كعب ؟

الغلام هو . . ولكني لا اعرفه

كعب (يحتضن الغلام)

هانذا ابوك فلا تخف ولا تحزن !

الغلام أبي . واين ابي ؟ دعني بالله ! ألا ترى دموعي ؟

كعب وماذا اصابك ؟

عمرو ألا ترى كيف يجتمع الناس هنالك ؟

كعب وعلامَ يجتمعون ؟

عمرو انهم يجتمعون على خالتي ميلاء . ماتت الساعة

كعب (كمن اصيب بطعنة)

ميلاء . . . ماتت الساعة

(انطلق الغلام ولا يزال كعب ذاهلاً)

ميلاء . . تموت الساعة . أماتت موتاً أم قتلت قتلاً ؟ أجب !

(يلتفت فلا يرى احداً)

أهذه الساعة بحثوا عني في مجاهل الارض ، كأنما همهم ان تموت ميلاء على مرأى مني ومسمع . نعم ، انها قدرت ان تقتل ميلاء وكعباً في وقت معاً . لن اسمح لعيني التي ابصرت ميلاء الجميلة حية ان تبصرها ميتة . ان ميلاء المشتعل جمالها والخفاق قلبها ستبقى حية في خاطري الى الابد .

يا كعب ! ان مراتع الصبا اصبحت مراتع للاسى . وان منازل الهوى امست منازل للشقاء . ارجع الى الصحراء التي جئت منها ، وعش فيها حياً كميت ، وموجوداً كمفقود .

(يرجع من حيث اتى ، فتستقبله الريح الخافقة في جوف الصحراء)

(ستار)

المثال التائه

مثّال يوناني عرف غادة جميلة ، صورها ونحت لها تمثالاً جميلاً ، ولكن عند الانتهاء منه ، وجد نفسه ازاء آية فنية رائعة ، كأن يده لا تعرفها من قبل ، فأخذ يعبدها في صورة التمثال ، ولبث على هذه الحالة من الذهول والشرود حتى كافأه « جوبتر » ببث الحياة في تمثاله ، وتزوج محبوبته .

« عن الاساطير اليونانية »

مسرحية في فصل واحد

الاشخاص :

جالاتيا : الغادة الجميلة

بجاليون : المثّال

زينو : رفيقه ، فيلسوف

التمثال :

المشهد الاول

خلق الانسان اربابًا له وسقاهم من دموع المقل
وحباهم بنقوش ودمى يجتليها صوراً للامل
خ . ه

(مرسم على جوانبه شموع تتوقد ، وفي احدى الزوايا تمثال شدت عليه ستارة بيضاء)

بيجماليون (فتى نافئ الجبهة ، في الثلاثين من عمره ، مظاهره تنم عن انه فنان موهوب ، يتأمل في الستارة المشدودة على التمثال ، ويتراءى ان في عينيه خاطراً يتمثل له آنًا ، وآنًا يتوارى) (وحده) ولماذا لم تقدم بحسب موعدها ؟ ما كانت لتتخلف قبل الآن لحظة واحدة حين كان يناديها جمالها ، لست ادري أأحسنت صنع تمثالها كما تود ان تراه ؟

(تدخل جالاتيا : وهي فتاة جميلة في مقتبل العمر ، يفتر وجهها من جمال غريب الالوان ، متناسق الخطوط ، وعلى ثغرها بسمة مشرقة خفيفة ، ترتدي رداء ابيض مهفهفًا)

جالاتيا عذراً يا فنانى الحبيب ... ما اشد سحر هذه الاضواء ! النور باهت لكن الجو غريب

بيجماليون أتريدين ان تقولي : هذا حال كل جو عند ما يحوم عليه

جمال المرأة ؟

جالاتيا في كل مرة تنقل الغرض الى الجمال ، كأن الجمال عندك هو كل شيء . أليس بعد الجمال من فضيلة اخرى تذكر ؟

بيجماليون الجمال إله وحده ، اله مستقل بصورته وروعته

جالاتيا انك تحاول اغرائي بفتنتك . . .

بيجماليون لا يحاول الفنان اغراء من يهبه العبقرية في الفن . . انت وحدك فن لي ! انت وحدك عبقرية شامخة

جالاتيا تجد كل هذا في وجهي وفي عيني !

بيجماليون بل اجده في كل ذرة من ذرات تكوينك . . . كنت واحدة قبل اليوم ، والآن ستجدين اني سلخت من جسدك جسداً آخر اتقنه الفن . هذا الجسد سيبقى لي ، كلما شئت رأيته . . .

جالاتيا ولكن هذا الجسد ترجمة عني مشوهة ، لانه لا يستطيع ان ينطوي على ما تنطوي عليه اعماق نفسي . ألا من يجعل هذا الجسد الهامد يلف ذراعيه على جسدك ، ويرنو بعينيه الى عينيك . . . من لك بمن ينفخ فيه الروح ؟

بيجماليون انه ليس بالجسد المجرد كما تزعمين ، ان التماثيل أتحيا حياة أعمق من حياتنا ! ان الغرض الذي يضعه الفنان على غم التمثال ليبقى معبراً عن نفسه للطبيعة ما ظل قائماً ازاءها . ان « فينوس » المخلوقة من لحم ودم غدت رفاتاً سحيقاً . اما فينوس الرخامية فهي تتكلم كل يوم وتبعث من جمالها موجة كل يوم . . . من هو الفنان الذي لا تحيا في رأسه فينوس الحجرية ؟

جالاتيا لوددت ان اكون من رخام لا من لحم ودم

بيجماليون ستنظر الآن – جالاتيا – المكونة من لحم ودم ، الى – جالاتيا – المنحوتة من حجر

جالاتيا يا للستارة البيضاء المشدودة على وجهي وعينيّ !

بيجماليون كثيرة هي العيون التي شدت عليها الستائر ! انها تحتاج الى ايد تسحب الستائر عنها لترى مفاتن الوجود ، او يرى الوجود مفاتنها

جالاتيا من ذا يزيح الستارة عن وجهي ؟ انني اكاد ارتعش ..

بيجماليون بيدك تزيحين الستارة عن وجهك !

(تدنو من التمثال جالاتيا محاولة ان تشد الستارة)

اني لأخشى عليك ...

جالاتيا ممّ ؟

بيجماليون من غريزة المرأة . الغريزة التي لا تعيش بدونها . الغيرة

جالاتيا أتراني اغار من حجر ؟

بيجماليون أيكون حجراً هذا التمثال ؟

جالاتيا (تدنو وترفع الستارة)

آه ! هذا انا ! واذا لم يكن اياي فمن يكون ؟

بيجماليون (تأخذه الرعشة ، ويعرو وجهه اضطراب . فيبدو من اقصى القاعه الى التمثال يحتضنه)

ويك تكلم ايها التمثال !

جالاتيا ولكني انا هنا ...

بيجماليون هذا شيء آخر : هذه إلهة شاردة لا تعرفنا

(يحتضن التمثال ويقع على قاعدته مغشياً عليه فتوقظه جالاتيا وهي تتحسس شعره ووجهه)

جالاتيا بيجماليون ! أفق ! تيقظ ! ان التماثيل لا تحيا

المشهد الثاني

جالاتيا ، وزينو

زينو (فيلسوف في الاربعين من عمره ، صديق الفنان ، يحب الفنان ، ويتأمل في روائعه)

جالاتيا أمن حظيرة الفن الى حظيرة الفلسفة الضيقة المرهقة ؟ ألهتك هذه الحظيرة عن صديقك بيجماليون ؟

زينو ويحك ما عراه !

جالاتيا لا شيء . . . . لا شيء .

زينو أعليل ؟

جالاتيا انه يزحزح الطود عن مكانه

زينو أمنكوب بشيء ؟

جالاتيا باعظم شيء .

زينو تريدين عقله . . . افصحي ، انني سائر اليه الآن

جالاتيا ولكنك ستجد الباب موصداً ، لان البـاب هو الشيء الوحيد الذي يحول بينه وبين العالم

زينو معميات وألغاز ! ما كان هذا شأنك يا جالاتيا !

جالاتيا لا افتري شيئاً ! ان صديقك جذبه الفن

زينو وهل في الانجذاب بالفن من عار ؟

جالاتيا ولكنك لا تعرف اي انجذاب . . . هو الانجذاب الذي جعله ينكر حقائقنا ، ويفلت من حياتنا ، ويفر من ايدينا

زينو أليس ذلك اصلح للفنان الذي يرى في فنه مثله الاعلى ؟

جالاتيا — انني لا استطيع ان ابين لك حاله

زينو — وما عراه ؟

جالاتيا — انك تعلم انه اراد ان يقيم لي تمثالاً حياً يخلد جمالي عنده

زينو — واعلم انه كاد ينتهي منه ، وان حفلة رفع الستارة عنه قريبة

جالاتيا — انه صنعه على احسن ما اراد ، بل عده ابدع تمثال نحته

زينو — ولا غرابة في ذلك اذا كنت انت المثال . . .

جالاتيا — (غير واعية الى هذا الاطراء)

انه اراد مني ان اشد الستارة دون ان يكون احد معنا وفي الساعة التي ازحت الستارة عن وجهي رأيته . . .

(تسكت مضطربة)

زينو — ويلك ! وما صنع ؟

جالاتيا — اقبل على التمثال يكلمه كأنه كائن حيّ ، ويخشع على قدميه ، ويعانقه ويتلمس مفاتن وجهه . ولم اعد امامه شيئاً . . اكلمه فلا يسمع ، واناجيه فلا يصغي ، كأنما انحدر كل هواه لي في هذا التمثال الجامد

زينو — آه ! اذن لقد جن بيجماليون بتمثاله وافتتن بفنه

جالاتيا — عاودت زيارته مراراً وتكراراً ، فحيناً اجد الباب موصداً ، ولكني اسمع من ورائه تمتمة كالتي تخرج من افواه الكهان ، فأدرك انه في نجوى مع تمثاله ، وحيناً أُلح الباب عليه فيبادرني : « من انت ؟ اذهبي ! لا شأن لي معك . . . لا اعرفك » فأخرج متثاقلة . رباه ! من يحطم هذا التمثال ؟

(جالاتيا تجلس شاردة الفكر ضيقة الروح ، وزينو شرد

وراء صديقه وكانت النكبة شديدة الوقع عليه)

زينو فنان ينفخ من روحه في آثاره فتحيا . الفنان حياته تفيض بالحيوات التي لا تتعدد !

جالاتيا انه مريض يا زينو !

زينو لا تقولي مريض ، انه شغوف بما نحت ، مجذوب بالمثل الاعلى الذي خلقه منك

جالاتيا ولكنه تناساني ، واصبح لا يعرفني

زينو اصبحت حقيقتك عنده ثقيلة باهتة الالوان ، ضيقة الآفاق ككل حقيقة تحاول ان تنطق عن نفسها . ان احساسه العنيف نقل صورتك العميقة التي لا تمس الى الرخام الصامت ووجد فيها المثل الاعلى للجمال الذي لا يشيخ ولا يتبدل لانه جمال الفن الذي يخلع على صور الطبيعة الفانية لباس الديمومة والخلود ... هذا اللباس الذي ضنت به الحياة على صورها يستطيع الفنان وحده ان ينسجه ويمنحه !

جالاتيا كأني بك فناناً آخر لا يفرق عن بيجماليون شيئاً . هكذا كنت اسمعه يقول ولكنك فنان مقيد اليد

زينو (ضاحكاً)

لشد ما وددت ان اكون فناناً ، ولطالما عملت يدي مع يد بيجماليون لكنني كنت لا استطيع اللحاق به ، له وثبات كبرى اين منها وثباتي ؟ كانت روح الفلسفة تطغى عليّ . وفي النهاية ردتني الفلسفة مقهوراً عن ذلك العالم الذي كنت اتوق اليه ، واني لاخشى ان افقد ما تبقى لي من الروح الفنية التي تطهر نفسي

جالاتيا ولكن ألا تشكر المقادير على هذا الحظ اذا كان الفن

يصل بك الى ما وصل اليه صاحبك

زينو لا تلومي بيجماليون ! ان عمله معقول جداً ، ولا غرابة ابداً في هيامه بما نحتت يداه ، لانه يمثل الانسانية كلها حينما عبدت ما خلقته بنفسها . كل ما ترين من هذه العقائد وهذا التسامي هو من خلق الانسان . اليد البشرية سامية جداً والروح البشرية سامية جداً فيها تزوع خفاق الى الرفعة دائماً . الانسان وحده الذي يصارعه كل شيء ، هو الذي ابدع كل شيء . من اضلاعه المحطمة ومن نفسه المضيئة خلق الآلهة ليتخذها رفاقاً يؤنسونه في هذه العواصف الثائرة ، وحمل اسمها في ارفع مكان عنده . الانسان هو كهذا الفنان . صنع تمثاله وعبده ، وذهل عن انه خلقه لانه نظر الى انامله ، فوجدها اضعف من ان تنحت هذا التمثال الملفوف بالجمال . انه يحاول دائماً ان يخلق ! انه مولع بالابداع . انه لم يهم بك حتى خلقك مرة ثانية !

جالاتيا والآن نريد استنقاذه من ذهوله

زينو ذلك حق ! اننا نريد ان نفجعه بهذا الوهم الجميل الذي تراءى له

جالاتيا وهل ترى في تحطيم التمثال فائدة ؟

زينو ذلك مما يثير شجوه ويعمل على قتله ، لانه سيطلب وهمه حيث يلوح !

جالاتيا اذاً أراني مدفوعة الى تحطيم التمثال مهما تكن العقبى

زينو ويحك ! انك تقودينه الى الجنون المحتم ، لانك تحولين بينه وبين أعز شيء يراه ... ولكن ...

جالاتيا فكر في استنقاذ الرفيق !

زينو (تبرق على وجهه خاطرة)
لقد وجدتها ...
جالاتيا الفيلسوف ينقذ الفنان
زينو ولكننا نبقى منحطين عن عالمه ، لاننا لا نملك توقد قلبه
جالاتيا ماذا وجدت لاستنقاذه ؟
زينو التمثال يجب ان يبقى . ويجب ان نوهمه بانه يتحرك وانه يحيا . والحياة وحدها تطلقه من اوهامه
جالاتيا واذا تحرك التمثال الحي
زينو اصبحت انت التمثال الحي عنده !
جالاتيا من تمثال الى تمثال ...
زينو أليس ذلك ما تبغين ؟
جالاتيا (ضاحكة) الى انقاذ بيجاليون ...
زينو وهناك أبين لك الوسيلة الى ذلك

المشهد الثالث

« في مرسم بيجاليون ، يدخل زينو وجالاتيا القاعة فيجدان بيجاليون محتضناً تمثاله وقد اغفت عيناه »

جالاتيا (مضطربة) لهفاه ! كم ذا يقاسي من اجلي !
زينو ويلك لا تنطقي بشيء ! قفي وراء التمثال ، وعندما يكلمه اجيبه عن سؤاله ، وانترقب بعد ذلك ما يأتي به القدر
جالاتيا (تنسل خفيفاً وراء التمثال)

بيجماليون (تبدو عليه بوادر اليقظة) أما آن ان تحييني وترثي لعزلتي وما اقاسيه ! لم أترك رعشة فيك الا امررتها على ازميلي . ولم اغادر موجة تفيض بجمالك الا تهادت على ريشتي . تكلم ايها التمثال ! انني لأجد كلمة حائرة على فمك تهم بان تنطق بهـا . ان كلمة واحدة منك ترد علي سعادتي . يستحيل عليك ان تكون صنع يد بشرية ، وان يكون وجهك وجهاً بشرياً يمشي على قسماته الفناء . انت وجه إلهة خالدة جمالها لا يزول . قد تكفيني هذه الابتسامة التي يتهلل بها وجهك ولكن ما وراءها ؟ هل هي لي من دون الناس ؟ قل لي . أحبك وبعد ذلك تجدني لا اريد شيئاً

جالاتيا (من وراء التمثال) ايها المثال التائه !

بيجماليون (كمن يستطير عقله)

رباه ! انه يتكلم .. أفي حلم انا ؟ يستحيل ذلك في اليقظة

جالاتيا بل انت في اليقظة ايهـا البائس الذي تاه زهواً بجماله ، وراح يريد ان ينفخ في حجره الحياة ..

زينو (يشير اليها بان تبدل لهجتها)

بيجماليون أليس حجري حياً ؟ واذا لم يكن حياً فكيف يتكلم

جالاتيا انه حي .. لكنك ملأت حياته قلقاً . ان حياة تمثالك يجب ان تكون هدوءاً واستقراراً وسكينة فملأتها انت قلقاً واضطراباً . تماثيل كثيرة صنعها غيرك تعيش في جو ملؤه الصمت والسكون

بيجماليون ولكني صنعت تمثال غادة لا يسكن جمالها

جالاتيا وماذا صنعت بتلك الغادة ؟

بيجماليون اصبحت لا اعرفها . لانني شغلني عنها جمالك الخالد الذي لا يسخر منه الزمن لانه يبقى

جالاتيا وهل كنت تعتقد ان تمثالك سيتكلم ؟

بيجماليون ذلك ما كنت اتمثله كل لحظة لانني لم اصنع تمثالاً جامداً انني وهبته الروح كما يبث الاله روحه في بعض الرخام فيحيا ! اما رخامي البارد فجاله خالد

جالاتيا والآن هل تحبني حقاً ؟

بيجماليون ذلك ما تجيب عنه الليالي

جالاتيا وهب ان صاحبة التمثال جاءت الساعة ، ألا تؤثرها علي وتلتفت اليها

بيجماليون انهـا جاءت كثيراً ، ولا بد انك سمعت قولي ورأيت دفعي اياها . كم مرة قلت لها : اذهبي انني لا اعرفك . تمثالك شيء آخر . انت شيء مبتذل قريب من الواقع . يتلوى بين الايدي كالطين وهنـا عندك الصمت الازلي والكلمة الواحدة التي لا تتغير . واللفتة الواحدة التي لا تتبدل !

جالاتيا أتحب صمتي الازلي ؟ انك تثير الاشفاق في قلبي عليك . . ان جوبتير اشفق عليك حين رأى عويلك الذي لا يهدأ ، فنفخ من روحه فيّ . . . اننا لم نتعود ان نحب البشر . ان كلينا يحرق الآخر بحبه

زينو (يشير اليها مستحسناً هذه البدعة في المعاني ولكنها نسيت كيانه الآن لانها ارتفعت بجنحة بالروح الفنية التي تتمثل على وجه بيجماليون)

بيجماليون ألا تستطيعين ان ترفعيني اليك ؟ اننا يجب ان نتواصل .

انني خلقتك بعبقريتي ، وبهذه العبقرية منحتك الحيـاة ! العبقرية الحقة تقدس نفسها ، وتحب ما تلد وتنجب . . . ألا ترين اجزاءك المتناسقة كيف يجذب بعضها بعضاً ، كأنما هي تتعانق . كل شيء جماله بتناسقه . الالفاظ في القصيدة ، والالوان في الصورة ، والخطوط في التمثال ، والافكار في القطعة تطلب العناق دائماً . . . هي للعناق . كل شيء للعناق ونحن للعناق . في الفن في الشعر ، في الجمال العناق . أليس كذلك ؟

جالاتيا انك تستثير نفسي ، وستراني اثور على الآلهة لاعلن لك امراً لا تستطيع شفتاي الجهر به !

بيجماليون الجرأة . . . سأعوض عليك كل ما تفقدين في صرح الآلهة قولي هذه الكلمة واختفي بعدها ان شئت

جالاتيا انني اخشى على اعصابك ان ترتجف

بيجماليون ولكن هذه الكلمة قد انتظرتها طويلاً ، واذا عدت الى صمتك قبل التفوه بها عدت الى نجوى لا تنقطع

جالاتيا اخاف ان تثور الغيرة في صدر غادتك

بيجماليون تلك لا اعرفها

جالاتيا ولكن اذا حييتُ هل تستطيع ان تفرق ما بيننـا اذا اجتمعنا معاً ألسنا هي انا وانا هي ؟

بيجماليون (يخر صعقاً) و (زينو يترع التمثال سريعاً ، ويشير الى جالاتيا ان تقف مكانه)

جالاتيا بيجماليون ! انا ابنة عبقريتك ، انني احبك . . . تعـال اليّ . لقد كسى الرخام لحماً واستحال الجمال الصامت جمالاً ناطقاً

بيجماليون أحقاً ان تمثالي يتحرك ؟

(يدنو منها ويلمسها ويعانقها)

رباه ! انه ينفث حرارة ولهباً . أفي العبقرية لهب وحرارة ؟ أفي حلم انا ؟ جالاتيا ! دعيني على صدرك لحظه انسى بها وجودي

جالاتيا انك عدت اليّ بعد فراق طويل

بيجماليون متى تفارقنا ؟ كنت دائماً معك

جالاتيا حقاً ! الزخام يحيا في يد العبقرية

بيجماليون نحن للعناق الدائم . أليس كذلك ؟

زينو (يبدو كأنه داخل الآن)

ما هذا العناق ؟ انك لا تترك العناق ابداً ؟ لقاء سعيد يا صديقي ! اين تمثالك الذي صنعته ؟

بيجماليون هوذا الذي بين يدي ... قل لاثينا ان بيجماليون شركَ الاله في ابداع الحياة . لقد جعل من الزخام إلهة حية .

زينو حقاً ما تقول ؟ لقد قالوا ان بيجماليون يحاول ان يحيي تمثالاً من تماثيله ، هام بجماله

بيجماليون بيدي صنعته ، ومن روحي ابدعته ، وها هوذا يعانقني !

جالاتيا سأقص قصة ذلك

زينو (مشيراً اليها بألاّ تفعل)

والآن يا بيجماليون ! اذا اجتمعت الاثنتان في موطن واحد فكيف تعمل على التفريق بينهما ، وهما متشابهتان بل هما هما ...

بيجماليون أتظن ان الاولى بعيدة عن الثانية ؟ أتظن ان روحها وقلبها لا يتمثلان وراء هذا الصدر ؟ أتظن ان وجهها

غريب عن هذا الوجه ، او ان عينها ليست بهذه العين ؟
انها هنا ولا يمكن ان تكون في غير هذا المكان . . .
دعني لن ارى لجالاتيا الا وجهاً واحداً

جالاتيا ولن تراني الا واحدة

زينو اصبحت هذه القاعة تخيفني

جالاتيا كأنني اعرف كل شيء فيها . ولكن . اريد النور .
الحياة منطلقة تحب النور

(يمضي بيجماليون لفتح النوافذ)

زينو (لجالاتيا)
لقد ارسلت التمثال الى منزلي : اياك ان تقصي عليه قصة ذلك . يجب ان يبقى على وهمه الذي لا يحيا بدونه ، قد يكون هذا الوهم كل ما له في الحياة ، انك كنت وهمه والفنان لا يحيا الا في الاوهام

(يقبل بيجماليون ضاحكاً)

بيجماليون أرأيتما الاشعة تتسابق الى طرد الظل ! الفنان يميل الى الظل ، لأن الظل اقوى من النور في بعث روح الابداع فيه

زينو قد يكون الامر كذلك لان في الظل مسرحاً للاوهام الكثيرة والاخيلة الشاردة

بيجماليون ما حال الفن بدون اوهام !

جالاتيا (تدنو منه)
والآن لمن تقف حياتك ؟

بيجماليون لك . . .

جالاتيا وفنك ؟

بيجماليون لعينيك

جالاتيا وقلبك ؟

بيجماليون لحبك

زينو وانا ماذا تركتما لي ؟

بيجماليون الروح في عالم الاوهام

زينو (ضاحكاً بينا تقبل جالاتيا بيجماليون)

الاوهام ... حسبنا الاوهام ... قد تستطيع الاوهام ان تغلب على الحقيقة ، وسعيد من يؤمن بها .. ولكن اين وهمي ؟

(ستار)

■

اللحن الكئيب

●

« وابلغ ما في الحياة الألم »
شوقي

مسرحية في فصل واحد

●

الاشخاص :

موزار : الموسيقي المعروف
١٧٥٦-١٧٩١

كونستانس : زوج موزار

الزائر المجهول : رسول شخص مجهول

ماري : شقيقة كونستانس

خادم :

المشهد الاول

موزار – كونستانس

موزار (موسيقي في ريق شبابه لكن خطوط الهموم تحدد وجهه . اضطراب على عينيه وقلق في رأسه . يرى جالساً في غرفته الخاصة وهو يداعب قيثارته وحده)

والآن الى اين وصلنا ؟ وبأي لحن تريدين ان تجودي ؟ أتظنين ان نفوس الناس تفهم مـا ستنقلين عن نفسي ؟ أحقاً ان في اوتارك حياة ؟ أحقاً انك لا ترنين الا باحساس ؟ انك ككل حياة لا تتفجر الا اذا تألمت ... رفيقتي في الحياة انت ...

أقدرت لي الحيـاة ان احمل بين انامليّ خشبة مشدودة الخيوط ؟ انقلها اينما اروح ، وازعم للناس بعد ذلك انها تعبر عن افراحي وآلامي ! ومـا خطب الناس بافراحي وآلامي ، بل ما خطب نفسي بافراحهم وآلامهم ؟

يفتش الناس عن الهرب من الآلام ، والفنان وحده يفتش عن الألم ، لانه لا يبدع الا بالألم ، الفنان وحده يبارك الألم لانه يفجر من مواهب نفسه

قد التقينا هنا ايتها القيثارة .. وربما تفضلين على انامل
انامل جامدة تتزك روحك ظامئة ولا تحملك على الرنين .
انت عبء ثقيل ، او انا عليك عبء ثقيل .. انت .

كونستانس (تدخل كونستانس وهي ذات طلعة بهية مرحة النفس ، في عينيها شعاع متألق)

موزار ... موزار ! رفقاً بنفسك . لقد اسقمتك هذه الشاحبة العليلة ، واستأثرت بكل ثواني حياتك .. أرخ اوتارها واهمل اسرارها

موزار شاحبة عليلة ... نعم ! شاحبة بمقدار ما سهرت مع العاشقين . وعليلة بمقدار ما ناحت مع المعذبين

كونستانس ما نعمل اليوم ! وقد علمت ان صاحب البيت ما زال يلح في اخراجنا اذا لم نوف له الاجر . والمال ضئيل بين ايدينا والحياة تكاد تخنقنا ...

موزار أيشكو الفنان ضيق الحياة ؟ أيخشى الفنان ان يخرج طريداً من بيته ، وبيته الفضاء كله ؟

كونستانس وما لنا اذاً الا ان نخرج ونجوع ونعرى ...

موزار بل يا حبذا الخروج والجوع والعري في الفن !

كونستانس أجائع يفخر بجوعه ؟ أعار يكسو عارياً ؟

موزار انك تردين هذه (الالهة) القائمة معي

(مشيراً الى القيثارة)

ان فؤادك الكبير اخذ يقبض في المدة الاخيرة . ونفسك التي كانت لا تجنح الا مع امواج الفن بدأت المادة تجرها اليها ...

كونستانس ولكن ما هي الغاية التي وصلت اليها ؟ أتقول الشهرة ؟

وقد رأيت ان الشهرة حطمتك في كل مكان . وخصومك الفنانون استطاعوا ان يعيدوك مفرداً بائساً ! أتقول المال ؟ وانت لا تملك منه ما يؤمن لك سكناك . أتقول ماذا ؟

موزار ويحك يا كونستانس . أتوقنين بان موزار يعتقد بالفن من اجل الشهرة ؟ أتظنين ان رغبة الظهور هي التي تسوقني ؟ ان امثال هؤلاء يموت فنهم حين يموتون ، اما الفن الحقيقي فهو قرين الشمس دائماً ، لان الاجيال مكلفة بصيانته

كونستانس ذلك رأي كل فنان في نفسه . لم اجد فناناً يقول يوماً غير ما قلت

موزار ما كان اخيب املي يوم عرفتك ... لقد فكرت في ان تكوني مأوى لفني حين لا اجد له مأوى . اما الآن فاني مضطر الى البحث عنك في كل مكان . لقد كنت قريبة مني ، تسمعين ندائي اذا ناديتك ، وتفهمين همسي اذا وشوشتك . واليوم كم اراك بعيدة ! كم ارى وهاداً سحيقة تحجبك عني ! بل كم تتخطف عيني المسافات التي تفصل ما بيننا

انك دمية فنية ابدعك فنان كبير ايتها المرأة ، ولكن ما عسى تفهم الدمية من رونق فنها

كونستانس انك لا تبرح عالمي اينما ذهبت ، وعلى صدري يجتمع فنك كله . ما قيمة اوتارك اذا لم يناج قلبي ؟ وما قيمة ألحانك اذا لم ترتلها في معبدي . المرأة دمية فنية ولكن لا فن يبدع بدونها

موزار وهم باطل ... ابدع الله صدرها ، ولكني انا ابدعت قلبها . خلقها الله جامدة باردة . وانا نفخت فيها الحرارة

والحركة لاسند اليها رأسي ... من انت، لولا فني ؟ من انت لولا قيثارتي ؟

كونستانس (بندم ورعشة)

انك كبير في عيني ! قربني منك ! انا قريبة منك ولست بعيدة . ولكني اخاف ان افلت في مزلق عميق . شدني اليك ! اضغط على اوتار قلبي كما تضغط على اوتارها ، لعلي ارنّ باللحن الذي تريد ...

انا لحن يبقى هائماً اذا لم تحمله الى هذه الاوتار ولكن ... ما اقل الناس الذين يعتقدون مثلك !

موزار ولكن ألسنا سعداء في اعتقادنا ؟ وهل يمكننا ان نحمل الناس كلهم على اعتقاد واحد ؟

(يسمع وقع اقدام ، ثم استئذان رجل بالدخول)

من القادم ؟

القادم جئت اطلب مقابلة موزار

موزار وما عسى ان يشغلك منه ؟ هل انت فنان ؟

القادم لم تشأ السماء ان تمنحني هذه النعمة !

موزار هذه النعمة ! واذاً ما مقابلتك لمن اعطي هذه النعمة ؟

القادم لشأن يخصه وحده

موزار أتريد عزلة مطلقة ؟

القادم اذا شئت ذلك

موزار لك ذلك اذا شاءت كونستانس

كونستانس اتركنا وحدنا

القادم جئت بامر لا اعلم توفيقي فيه ، شرط علي فيه صاحبه ان يبقى اسمه مجهولا

موزار وما هو هذا الامر . ان في كلامك ابهاماً يستهويني

القادم هذا المجهول يطلب الى موزار ان يصنع له لحناً كئيباً ، وهو يبذل ما يريد الفنان

موزار أتشتري الكآبة بالمال ؟ أهناك من يبحث عن الكآبة ؟ أهناك من يطلبها بالمال ؟ طلب غريب يا صاح ؟ لان عهدي بالناس ان يشتروا افراحهم وملذاتهم بالمال اما الكآبة ... ولكن غاب عن هؤلاء انا نحن نفجر الالم في أنفسنا

القادم ولكني لم اجيء لاسمع رأي الفنان في الالم وفي شعور الناس

موزار ولكن أليس بامكانك ان تعرض عليّ ملامح هذه الشخصية المجهولة ؟ لان هذه الملامح قد تفيدني في استيحاء ألحاني ، امرأة هذه المجهولة ام غانية ؟ أطامحة أم يائسة ؟ أمرحة ملّت حياة المرح فاحتاجت الى البكاء ؟ أم باكية تريد الاشتفاء

القادم محاولات فاشلة لان الشرط الوحيد الا تحاول معرفة هذا المجهول

موزار لا أستطيع استجابة مثل هذا الطلب ، لان مادة الالم لا تباع ولا تشرى . ألمنا من انفسنا ولانفسنا

القادم ولمَ لا يكون اللحن لنفسك ؟

موزار (كمن تبرق على عينيه خاطرة)

كلمة مصيبة ... كونستانس .. كونستانس

(له)

لقد اخرجتني من هذا المأزق

(تدخل كونستانس)

كونستانس أفي الامر ما يحتاج الى هذه العزلة ؟

موزار اعرض عليها ما جئت به

القادم كلفني مجهول ان اطلب الى موزار تلحين قطعة كئيبة لقاء اجر يدفع نصفه الآن والنصف الآخر يدفع عند النهاية مع هدية ثمينة

كونستانس (دهشة)

امر حسن ولكن ألا علم لك بهذا المجهول ؟

القادم انه يصر على ان يبقى مجهولا

كونستانس ولكن أليس من حقنا ان نعرف شيئاً عنه ؟

القادم ذلك سر لا اقبل بازاحة الستار عنه

كونستانس أرجل هو ام فتاة ؟

القادم لا تحاولي شيئاً يا سيدتي !

كونستانس ماذا قلت يا موزار ! هل انت متأهب لاجابة الطلب ؟

موزار أخشى ان تكون مكيدة في الامر

القادم اترك لكما الجواب الى مساء هذه الليلة

(يودعهما)

كونستانس موزار ! أفي الفن مكيدة ؟ أيصل الالم في النفس الانسانية الى ان تشتري الالم

موزار أخشى ان يكون وراء هـذا المجهول قلب عاشق حطمه اليأس

كونستانس ولمَ لا يكون وراءه ، قلب عاشقة متوقدة الليالي ؟

موزار ألا تجدين في عملي احساناً الى هذه النفس مهما كانت ؟

كونستانس قل له ، يا موزار ، رضيت

موزار (يقبلها)

المشهد الثاني

(موزار شاحب اللون ، هزيل البدن ، امامه اوراق موسيقية . منكب على قيثارته ، وقد اعياه التعب قليلاً)

موزار أف ما اسرع تلبية الاحزان اذا ناديتها ، كأنما العالم كله مركب على اسس الاحزان

(تدخل كونستانس)

كونستانس أتعلم اين انت الآن من الليل ؟

موزار (باسماً)

أتقولين لي انك أدخلت معك الفجر يا عزيزتي ؟

كونستانس قلت لك مراراً بألا تشتغل بهذا اللحن المشئوم في الليل ، لان الليل حزين بذاته

موزار ولِمَ لا تقولين ان الليل ترقص الملذات نفسها على احضانه

كونستانس أرى ان تترك الان العمل

موزار ولكني الان في ساعة إلهام ، ومثل هذه الساعة ومضات في حياة الفنان

كونستانس ولكنك أسقمت بدنك وقتلت نفسك رفقاً بقلبك يا موزار . انك تكلفه الصعود كثيراً

موزار حياة الفنان وثبات خطرة فوق القمم ، نحن لا نمشي كثيراً ولكننا نثب كثيراً ، وانا الان في وثبة من وثباتي

الكبرى

كونستانس انني امسيت قلقة خائفة عليك ، وقد علمت ان سفرتك الاخيرة الى « براغ » كانت شديدة الوطأة على قلبك . وان الاوبرا التي ألفتها في تتويج الامبراطور (ليوبولد) قد انهكت كل قواك المولدة . وارخت عزائمك المبدعة

موزار أسمعت شيئاً في النوادي جديداً عنها ؟

كونستانس انهم يقولون ، انك قذفتها سهماً نافذاً في افئدة خصومك الذين لا يحبون ان يؤمنوا بعبقريتك

موزار آه خصومي ! ومتى كانت حياتي خالية من الخصومات ! ذهب خصومي ورائي ليكفنوا عبقريتي ، ويدفنوا موزار حياً .. لكن موزار ينبوع لا يفيض ماؤه . انهم عجزوا عن مخاصمتي في الفن ، فلم يتورعوا عن قتلي بالسم

كونستانس ماذا تقول ؟ السم !

موزار احس فتور السم في اعصابي . احس تخدير السم في دمي . حقيقة كتمتها عنك . لن يكتب لجسدي بعد اليوم ان يجاهد طويلاً

كونستانس أي سم تزعم ؟ من قال ذلك ؟

موزار قلبي الفتي الذي يخفق خفوق الموت

كونستانس اعتقادك باطل يا موزار

موزار لقد سمموني بغير شك ، وليس في الامكان ان أتخلص من هذا الاعتقاد

كونستانس السم الذي ينهش قلبك هو سم الفن . اهجر هذه القيثارة زمناً واترك هذا اللحن فاني لا اراك قادراً على اتمامه في هذه الحالة

موزار ولكن دعيني اكتبه وانجزه ، لاني نسيت اني اكتبه للزائر المجهول ... هذا لحن حزين اكتبه لنفسي

كونستانس وهذا ما يقتلك يا موزار ! انك لا تقدر ان تكون شيئاً ، وفنك شيئاً آخر

موزار أفي هذا ازدواج ؟ انا وفني شيء واحد . لا احب ان اسمع منك هذه الفكرة التي رددتها مراراً . انا لا يمكنني ان اتجرد من الحاني .. ان الحاني تحيا في نفسي كما ان نفسي تحيا في الحاني . انا لولا الحزن الذي يفيض على نفسي لما استطعت ان اكتب هذا اللحن

كونستانس ولكن اذا لم ترحم نفسك فارحم العالم الذي هو في حاجة الى فيض عبقريتك . . . انه يريد ان يسمع بعد هذا اللحن ألحاناً . أتظن انك تفرغ كل ما تريده انت في هذا اللحن ثم تسكت ؟

موزار ويحك ! أتظنين ان للابداع عمراً محدوداً ؟ او ان المبدع يطلب اليه ان يتكلم طول حياته ... ان الحياة تقدر للمبدع لحظة واحدة لا يعلمها هو . يقول فيها كل ما يريد ان يقول . قد يكون هذا اللحن آخر ما اقول . وقد يكون لي بعد هذا اللحن الحان ... دعيني الآن !... انني احس انني في ساعة فيض والهام . انني اشعر بان اوتار يدي مشدودة باوتار قلبي ...

كونستانس لا يمكنني ان اغادرك مفرداً ، لان العبقرية نفسها تناديني بان انقذك من بين ذراعيها ... تريد ان تخنقك وفي الوقت ذاته ارسلتني لكي انقذك ...!

موزار ما اسمى شعورك يا عزيزتي ! لنترك الليل اذاً يمر وحده

كونستانس عدني قبل ان تخرج الى الفجر بان تترك القيثارة !

موزار ولكنك انت قيثارة بين يدي ، اوتارك لا عدد لها ! وألحانك . . .

كونستانس اما هذه القيثارة فضع يدك عليها دائماً . . . !

(يشبان)

المشهد الثالث

(في قلب الليل ، غرفة متشحة بالنور الباهت ، يُرى موزار ينهض رويداً رويداً وقد بدت ملامح وجهه الرقيق على النور . . يمشي خطوة ويلتفت وراءه حذراً . . . حتى ينتقل الى حجرة ثانية ينير الشموع فتبدو قيثارته الشاحبة واوراقه الموسيقية على درج عال . . .)

موزار مسكينة كونستانس ! انها لا تدري انني اغافلها عن نفسها كل ليلة لأعود الى اتمام هذا اللحن الكئيب . انها كثيرة الاشفاق على قلبي ! على قلبي المريض .

(يأخذ قيثارته ويبدأ العزف)

هذا لحن يشق اجواء نفسي ويصل الى عمقها ! ربما ارسلت القدرة هذا الزائر المجهول ليفتح لنفسي هذا الأفق المجهول . قل لي من انت ايها المجهول ؟

قل لي من انت ايها الذي اناجيه على تتمة هذه الاوتار . . أتمثلك عاشقاً تطوف من مكان الى مكان . . .

تريد ان تريح النفس بهذ اللحن الحزين . . !

بل اتمثلك عاشقة هائمة ... ضاق صدرها بالحب ، تطلب اللحن الحزين ليهدىء ثورة نفسها .

ولكن لِمَ لا يكون هذا المجهول صاحب مجد مغلوب ؟ ولكن لِمَ لا يكون هذا المجهول هذا الكون الهائم كله على غير غاية ؟.

(يشتد العزف)

اراه لحناً لا يخاطب الا نفسي ، في نفسي خطرات واسرار تستثيرها هذه الاوتار !

(يشتد العزف . تستيقظ كونستانس وتب مذعورة)

كونستانس موزار لقد اقلقت كل شيء هذه الليلة ..

(تحدق في وجهه الذي اختلفت ملامحه)

موزار خل عنك القيثارة !

(تتناولها منه وهو يسقط مكدوداً والعرق يتسايل على جبينه)

اتكىء عليّ ..!

(يخرجان الى الغرفة الاولى)

ألم اقل لك ان هذا اللحن يأكل من نفسك !

موزار ولذلك سيبقى خالداً

(يجلسان على السرير)

كونستانس نم امامي الآن ! اغمض عينيك حتى لا تبصر شيئاً

(تحيطه بذراعيها)

موزار توشكين ان تخنقيني بحبك ، ينبغي ان تساعديني على اتمام ما انا فيه

كونستانس هذا لحن لن تشتغل به بعد اليوم . لان صاحبه لم يشتر لحناً وانما اشترى نفساً ...

موزار ولكني اقول انه هداني الى نفسي ... اللحن الحزين مرحلة ضرورية في مراحل كل حياة ، لانه صوت النفس في جهادها ! لكل منا طموحه الذي يمشي ويفشل وينتهي باللحن الحزين ، لكل منا هذا اللحن الحزين الذي يسيطر على نفسه . وكل منا يغني لحنه في هذه الحياة

كونستانس امتزاجك بالفن لهذه الدرجة وبال عليك

موزار يجب على موزار ان يتمم هذا اللحن ، لانه نشيد مأساة الحياة !

كونستانس انك خارج الآن من نوبة عصبية ، حاول ان تهدىء اعصابك ! ارى عرقاً يتسايل على جبينك وملامح غريبة تظهر على وجهك . أبكَ شيء ؟

(تلمسه)

انك حار الملمس !

موزار يجدر بهذا اللحن ان ينتهي بالطمأنينة والهدوء شأن السفينة التي تطاردها العاصفة ثم تغفو اشلاؤها على الشاطىء !

كونستانس فكر بي الآن

موزار قريباً تصل الى الشاطىء السفينة التي حطمت جوانبها العاصفة !

المشهد الرابع

(كونستانس مع اختها ماري)

كونستانس اراك جئت متخلفة !

ماري أخرني ازدحام الناس في مأتم ابنة الامبراطور

كونستانس وهل ماتت ؟ لهفي على تلك المحاسن الغضة !

ماري لقد عاشت كالزنبقة الوديعة وماتت كالزنبقة الوديعة

كونستانس اذكر تألق عينيها ورنين صوتها الفضي . ألم يكن بامكان الطب ان ينقذها ؟

ماري يقولون : ان جميع الوسائل ذهبت عبثاً ، لان داءها كان داءً باطناً . كانت تذوب بهجتها يوماً بعد يوم ، وتستحيل الوانها الحادة الى الوان شفقية باهتة . وحسرة الناس فيها انهم لم يعلموا ما ارداها

كونستانس طالما رأيناها تسعى خلفنا انا وموزار في الحقول . فنقول : زهرة تمر على ازهار . وقد كانت اكثر اخواتها تعلقاً بالفن وميلاً الى الموسيقى . وقد هنأتني مراراً بعبقرية موزار

ماري والآن كيف ينام ؟

كونستانس نام الليلة نوماً هادئاً

موزار (يسعل سعلات خفيفة منادياً)

يا كونستانس

كونستانس لقد استيقظ هيا بنا اليه

(تخرجان)

موزار (لماري)

لقد صنعت خيراً بحضورك فيجب ان تبقي هنا الليلة لتشهديني اموت

ماري تموت ؟

موزار ان طعم الموت على لساني ... انني اتذوقه بشفتي !.

كونستانس (تواري وجهها باكية)

كلميه يا اختاه

ماري أيفكر مثلكَ بالموت ، وهو الذي يهب الشباب والحياة للناس !

موزار وما عسى يعمل هنا من أتم عمله !

ماري لكن الفن لا يزال يرتقب ايامك

موزار لقد اعدت اليه ، الكلمة ، التي وضعهـا على فمي ! ولم يبق سواها ! اين كونستانس ؟ أريني نهاية اللحن الحزين

(تذهب كونستانس)

ماري ولِمَ لا تحيا لتعطي الناس اللحن السعيد ؟

موزار اللحن السعيد !!

(يتناول منها الورقة ويقلب ناظره فيها بعد ان ينهض قليلًا)

الآن استطيع القول : ان لحني الحزين قد انتهى !

الخادم (حاملة بطاقة وصرة)

مولاتي . اعطاني رجل غريب هذه الامانة وانصرف

كونستانس (تتناولها)

آه . بطاقة ومال

موزار ممن هذه البطاقة اقرأيها عليّ

كونستانس « ان صاحب اللحن الحزين مات هذه الليلة ، وقد اوصى بأن تعطى لتتمة الأجر . وانت حر بإتمامه او الوقوف

موزار (ينهض مغضبًا)

ولكن اللحن قد تم . . . لا يمكن ان يموت قبل ان يسمع هذا اللحن ! ادركوه ! استوقفوه ! ليسمع اللحن كله

ماري و كونستانس (يركضان لتهدئة نفسه)

هدىء عنك . ان هذا لا يزيدك الا خطراً !

موزار تريد روحي ان تصعد على نغمات هذا اللحن ! كونستانس ! اعزفيه على قيثارتي ! اراك لا تبرحين مكانك ! هاتي قيثارتي ، لا تزال انامل قادرة على شد اوتارها !

(كونستانس تمضي لتأتي بالقيثارة)

موزار (قد انقلبت عيناه)

صاحب اللحن الحزين يموت قبل ان يسمعه

(تدخل كونستانس)

ألم اقل لك انني كنت اكتب هذا اللحن لنفسي ، لا لهذا المجهول . ولكن لا لا هذا ليس بلحنك يا موزار ولا بلحن احد وانما هو لحن الانسانية كلها . اعزفي يا كونستانس

(تمزف وماري فوق رأسه ودموعه المترقرقة في عينيه واللحن يتصاعد قليلًا قليلًا)

ماري قد انتهيت يا موزار ولكن لحنك الحزين لن ينتهي لانه لحن الانسانية كلها .

(ستار)

فهرس الكتاب

*

المقدمة	٥
سارق النار	٧
فتنة	٢٩
جزيرة بلا رجل	٤٩
ميلاء	٥٧
المثال التائه	٧٧
اللحن الكئيب	٩٣

اطلب
الأديب
مجلة تعنى بالآداب والفنون والعلوم الإنسانية والاجتماع
من المكاتب والباعة
إن أكاد مزة تصح
من قرائها الدائمين

طبع المطبعة الحديثة – بيروت – طريق الشام

الهنداوى ،خليل
سارق النار
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01037473

892.78
H66sA
c.1